جامعة حمّه لخضر الوادي
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها
تخصص لغة

التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف

–أحاديث عالم الغيب أنموذجا–

مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس (ل.م.د) في اللغة العربية وآدابها

إعداد الطالبات:
- ✓ إيمان محبوب
- ✓ جهاد تيوه
- ✓ خديجة بنين

إشراف الأستاذ:
علي زيتونة مسعود

السنة الجامعية: 2014 م/2015 م

قال تعالى:

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ **سورة النمل. الآية:(19)**

الإهـــــــــداء

أهدي هذا البحث إلى من اشتاقت له القلوب في معلم الأمة محمد-صلى الله عليه وسلم- و آله وصحبه ومن والاه.

إلى مستودع الحنان.....وإلى من عزز في حب الخير

إلى من خلق روح التحدي .....إلى الوالدين الكريمين

إلى أقرب الناس إلى قلبي و أولاهم بحبي .

إلى الأخوة والأخوات و أزواجهم .

إلى من هم أكرم منا جميعا.

إلى شهداء الأبرار الذين نزفت دماؤهم الطاهرة لتسقي ترابه فلسطين.....

إلى جميع أحبتي من قريب ومعلم وصاحب وجار إلي.....

إلى من حق له الحق عليَّ .....

إلى سائر المسلمين في الأرض ، عسى ألا تفوتني من بعضهم دعوة صالحه قد يحجب الله بها عني غاشية العذاب أو يجزيني بها حسن الثواب.....

إليهم جميعا أهدي هذا البحث المتواضع.

- خديجة ، جهاد ، إيمان-

شكـــر وتقديـــر

إنطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ربِّ أوزعني أن اشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ و على والدي و أن أعمل صالحا ترضاه﴾. سورة النمل. الآية (19)

إقراراً و إعترافاً و وفاء بالجميل أتقدم بالشكر و العرفان إلى الذي لا تعد نعمه ولا تحصى.

و إنطلاقا من قوله –صلى الله عليه وسلم-: «من صنع معروفاً فكافئوه، فإن لم يستطع تجدو ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا انكم كافأتموه».

أتقدم بالشكر الجزيل لمن كان له الفضل بعد الله تعالى.....

إلى من غمرني بعلمه وكان له الأثر البالغ في ظهور هذا البحث إلى الأستاذ المؤطر "علي زيتونة" حيث قدم النصح والإرشاد لنا حتى ظهرت الرسالة.

و كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من مدَّ يد العون لنا و إلى منارة العلم "جامعة حمه لخضر الوادي".

مقـــــــــــــدمة

إن البحوث والدراسات في مجال القرآن الكريم تتوفر إلى حدّ كبير جداً في حين أن الدراسات حول البلاغة النبوية تقل عن ذلك نسبياً فعلى الرغم من أن مرتبة البلاغة النبوية دون مرتبة نظريتها القرآنية إلا أن بلاغة النبي –صلى الله عليه وسلم- لا تقل أهميتها عن بلاغة كتاب الله، والسبب في ذلك يمكن أن يرجع إلى أن تقديم تفسير الآيات القرآنيـــة أمام المجتمع البشري و يتوقف على بلاغة النبي – صلى الله عليه وسلم- برمتها.

ولو لم يكن كذلك ، إلا ما كان ورد عن النبي – صلى الله عليه وسلم- في مجال احتلاله بمكانة أفصح العرب، لكان ذلك سبباً كافياً لإجراء البحوث عنها من جهة أخرى.

والحديث النبوي نص أدبي يرتفع إلى أعلى درجات من البيان، و في غاية الروعه من حيث جمال الألفاظ وتنوع المستويات التعبير وتعدد الصور والتراكيب المتنوعة، ولقد خصنا الإله بأرفع العلوم وأنفع المآرب التي من بينها التصوير الفني من البلاغة النبوية الجديدة على الدنيا وتأريخها.

فالتصوير الفني مصطلح حديث صيغ تحت وطأة التأثر بمصطلحات النقد الغربي والاجتهاد في ترجمتها فإن الاهتمام بالمشكلات التي يشير إليها المصطلح القديم، يرجع إلى بدايات الوعي بالخصائص النوعية للفن الأدبي .

وبالتالي الصورة الفنية هي الجوهر الثابت والدائم في النصوص الأدبية ولقد خصصناه في الحديث النبوي الشريف –وتحديدا في أحاديث عالم الغيب- أي ما أخبر به الرسول عليه –الصلاة والسلام- صريحاً بأنه واقع أو سيقع كوجود الله وصفاته ووجود الملائكة والشياطين و أشراط الساعة ومما استأثر الله بعلمه .

و قد دعانا إلى اختيار هذا الموضوع جملة من العوامل أهمها:

- خدمة السنة النبوية الشريفة وتوثيق الصلة بها.
- القيمة الكبيرة لأحاديث النبي –عليه الصلاة والسلام- من الناحية الجمالية.
- الإطلاع على ما يميز الحديث النبوي الشريف من الصور البيانية.
- الإعجاب و التقدير بالجهود التي بذلها الأئمة في البلاغة النبوية.
- وباختيار من الأستاذ المؤطر لهذه المذكرة.

و جملة هذه الأسباب قادتنا إلى طرح الإشكالية التالية:

فيما يتجلى التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف وخاصة في الأحاديث الغيبية؟

وللخوض في هذه الإشكالية قسمنا موضوعنا إلى فصلين:

تعرضنا في الفصل الأول المعنون بـ : ماهية التصوير الفني في الحديث النبوي وقسمناه إلى ثلاثة مباحث: الأول تحدث عن البلاغة النبوية وجاء ضمنه تعريف البلاغة لغة واصطلاحا وتعريف الحديث لغة واصطلاحا وأيضا البلاغة النبوية وأسلوب البلاغة النبوية. أما المبحث الثاني، فيتناول التصوير الفني وجاء ضمنه تعريف التصوير الفني لغة واصطلاحاً وأهمية الصورة ومزايا نظرية التصوير الفني ووظيفة الصورة الفنية، أما المبحث الثالث فكان لمحة عامة عن الغيب وتناولنا فيه أيضا، الغيب لغة واصطلاحاً وخصائص وأقسام الغيب.

أما الفصل الثاني فكان تطبيقيا بعنوان : التصوير الفني في أحاديث عالم الغيب، حيث تناولنا فيه آليات التصوير الفني.

وأنهينا البحث بخاتمة تحمل ما استخلصناه من ملاحظات وما توصلنا إليه من نتائج.

ولقد اقتضت طبيعة الموضوع أن نتّبع المنهج الوصفي التحليلي الذي قمنا من خلاله بتحليل أحاديث عالم الغيب.

كما اعتمدنا في إعداد هذا البحث على عدد من المصادر والمراجع اسهمت في إثرائه فكان أهمها: مدونة البحث وهو صحيح البخاري، و التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف محمد الصباغ الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب لجابر عصفور، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي.

أما أهم الصعوبات التي اعترضتنا فنذكر منها: قلة مراجع البحث، وصعوبة أحاديث عالم الغيب وقلة النماذج التطبيقية، واختلاف وجهات النظر في تحليل الأحاديث النبوية الشريفة.

وختاما نتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف علي زيتونه الذي أنار لنا سبيل البحث فاستقينا منه فيض منهجيته العلمية ونصائحه القيمة فجزاه الله عنى كل خير.

هذا وما كان من صواب فنحمد الله عليه وما كان غير ذلك فالكمال لله وحده أننا نأمل أن يوفقنا الله فيما يسره لنا وقدرنا عليه ونتمنى أن يكون نفعا لكل قارئ إن شاء الله.

الفصل الأول

ماهية التصوير الفني في الحديث النبوي

أولّا: البــلاغـة النبوية.

ثانياً: التصوير الفني.

ثالثاً: لمحة عامة عن الغيب.

أولاً: البلاغة النبوية.

1- تعريف البلاغة:

أ-لغة: إن كلمة "البلاغة" مشتقة من المادة المعجمية (ب- ل- غ)، معناه لغة الفصاحة[1].

وقيل: البلاغة تنبؤ عن الوصول والانتهاء، يوصف بها الكلام والمتكلم فقط، دون المفرد[2].

وكذلك البلاغة التي يمدح فيها الفصيح اللسان، لأنه يبلُغُ بها ما يريده، ولي في هذا بلاغٌ أي؛ كِفاية[3]. وبلغ الرجل بلاغة فهو بليغ وهذا قول بليغٌ.

وتبالغ في كلامه: تَعاطى البلاغة وليس من أهلها وما هو بليغٌ ولكن يتبالغ[4].

ب- اصطلاحا: فهو يختلف باختلاف موصوفها وهو أحد الاثنين، الكلام والمتكلم، فأما بلاغة الكلام فهي أن يكون الكلام مطابقا لمقتضى حال الخطاب مع سلامته من العيوب المخلة بفصاحته وفصاحة أجزائه، أما بلاغة المتكلم: ملكة يقتدر بها إلى تأليف كلام بليغ أي فصيح.

فالبلاغة هي تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة فصيحة لها في نفس أثر خلاّب، مع ملاءمة كلِّ كلام للموطن الذي يقال فيه، والأشخاص الذين يخاطبون.

فليست البلاغة قبل كل شيء إلا فنًّا من الفنون يعتمد على صفاء الاستعداد الفطري ودقة ادراك الجمال، وتبيين الفروق الخفية بين صنوف الأساليب، وعناصر البلاغة لفظا ومعنى وتأليف للألفاظ بمنحها قوة وتأثيرًا وحسنًا.

ثم دقةٌ في اختيار الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه وموضوعاته وحال السامعين والنزعة النفسية التي تتملكهم وتسيطر على نفوسهم فربَّ كلمةٌ حسنت في موطن ثم كانت نابية مستكرهة في غيره.[5]

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط3) ، 1996م، ج1، ص 487.

[2] التعريفات للجرجاني، شريف الجرجاني، دار فضيلة، القاهرة، (دط)،1413هـ، باب الباء، ص33.

[3] مقاييس اللغة لابن فارس، أبي الحسين أحمد بن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، (دط)، (دت) ج1، ص302.

[4] أساس البلاغة، الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط)، 1998م، ج1، ص 75.

[5] البلاغه الواضحه (البيان –المعاني –البديع)، علي جارم ومصطفى امين، دار المعارف، القاهرة، (دط)، 1999م، ص08.(بتصرف).

2- تعريف الحديث

أ- لغة: يرى أبو هلال العسكري أن الحديث في الأصل هوما تخبر به نفسك من غير أن تستند إلى غيرك. وسمي حديث لأنه لا تقدم له، وإنما شيء حدث لك، فحدثت به[1].

ويقال: "الحديث ذو شجون" يتذكر به غيره، كلام رسول الله- صلى الله عليه وسلم-.

وفي اصطلاح المحدثين: قول أو فعل أو تقرير نسيب إلى النبي -صلى الله عليه وسلم -والجديد يقال: هو حديث عهد بكذا. قريب عهد به[2].

ب- اصطلاحا: اتفق المحدثون عل تعريف جامع مانع للحديث وهو: كل ما صحت نسبته... إلى رسول- صلى الله عليه وسلم- من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة، خُلقية أو خَلقية سواء كان قبل البعثة أو بعدها[3].

ويطلق على الحديث الخبر والأثر، قال ابن حجر في "شرح النخبة: مصطلحات علم الحديث" الخبر عند علماء هذا الفن مرادف للحديث، وقيل الحديث ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم والخبر ما جاء عن غيره؛ ومن تم قيل لمن يشتغل بالتواريخ وما شاكلها "الإخباري" ولمن يشتغل بالنسبة للنبوية "المحدّث"[4].

ويمثل الحديث النبوي الشريف، ثروة في عالم الأدب والعلم وتفخر بها الإنسانية عل مدى الزمن. وكان الحديث المعول الذي قضى على وحشي الكلام، وسجع الكهان وكان الأداة المثلى لخلق أغراض جديدة في عالم النثر، والشعر غير أغراض الجاهلية ومثلها[5].

3- البلاغة النبوية:

تحتل البلاغة النبوية الذروة العليا من البيان في الأدب العربي فهي أعل طبقات البلاغة الإنسانية، وبلاغة التي تقع القنطرة الواصلة بين إعجاز القرآن وبلاغة البلغاء، ويقول الأستاذ عباس محمود العقاد: "كان محمد -صلى الله عليه وسلم- فصيح اللغة، فصيح اللسان، فصيح الأداء، كان فصيحا مبلغا على أساس ما تكون بلاغة الكرامة والكفاية، وكان بلسانه وفؤاده من المرسلين"[6].

---

[1] الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله، مكتبة القدس، القاهرة، (دط)، 1353هـ، ص 28.

[2] المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، القاهرة، (دط)، 1960م، ص 204.

[3] دراسات في الحديث النبوي وعلومه، أحمد عطا إبراهيم، دار الغريب، القاهرة، (دط)، (دت)، ص 21.

[4] التيسير في علوم الحديث النبوي، عبد الرحمان محمد عبد الله الرفاعي، دار الفكر العربي، بيروت، (دط)، (دت)، ص 16.

[5] أدب الحديث النبوي، بكري شيخ أمين، دار الشروق، بيروت، (دط)، 1981، ص 104.

[6] عبقرية محمد، عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت، (دط)، 1969م، ص 291.

وكذلك أجود ما قاله الجاحظ في شأنه:

"هو كلام الذي قل عدد حروفه، وكثرت معانيه، وجل عن الصنعه، ونزه عن التكلف... واستعمل[1] المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب والوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حق بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويسر بالتوفيق، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الافهام، وقلة عدد الكلام... لم تسقط له كلمة، ولازلت به قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب بل يبذ الخطب الطوال بالكلم القصار ولا يحتج لا بالصدق، ولا يطلب الفلج إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة..."[2].

ففصاحته –صلى الله عليه وسلم– أمر لا يشك فيه عاقل، ذلك أن القوم الذين أُرسل إليهم هم أئمة البيان وهم قوم في خصومته قوم لا تنقطع بهم حجة ولا يعوزهم منطلق بليغ، وقد نعتوا الرسول –صلى الله عليه وسلم– بأوصاف عديدة كيدا ومخاصمة، ولمنهم لم يستطيعوا أن ينعتوه بما ينال من فصاحته[3].

وأهم ما ميزها عن سائر الخلق بشكل عام وعن مجتمعي البشر والجن بشكل خاص هو نزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين فمن جراء الوحي الإلهي استقرت قدماه– صلى الله عليه وسلم– على عرش البلاغة لأبد الأبدين، وهذا بقوله :﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥ ﴾[4].

4– أسلوب البلاغة النبوية:

البلاغة النبوية في أعلى طبقات البلاغة الإنسانية وبلاغة النبي– صلى الله عليه وسلم– تقع على القنطرة الواصلة بين إعجاز القرآن الكريم وبلاغة البلغاء، ويقول الأستاذ عباس محمود العقاد:

"كان محمد –صلى الله عليه وسلم– فصيح اللغة، فصيح اللسان، فصيح الأداء، كان فصيحا مبلغا على أساس ما تكون بلاغة الكرامة والكفاية وكان بلسانه وفؤاده من المرسلين[5].

---

[1] الضمير هنا يعود إلى كلمة "الرسول" المذكورة في الكلام الذي حذفناه وأشرنا ل حذفه بهذه النقط.

[2] الحديث النبوي (مصطلحه – بلاغته –كتبه)، محمد الصباغ، المكتب الاسلامي، بيروت، ط4، 1969م، ص 52، نقلا عن البيان والتبيين 17/2.

[3] المرجع نفسه، ص 53.

[4] سورة الشعراء، الآية:(193-195).

[5] عباس محمود العقاد، المرجع السابق، ص 291.

– فالبلاغة النبوية في ذروة من البيان، ولا يرتفع فوقه في مجال الأدب الرفيع، إلا كتاب الله بلاغة وفصاحة وروعة وبذلك لا تجد له مثيلا في أساليب القول البشري المبين، ومن أهم خصائص الأسلوب النبوي:

أ– الجزالة والوضوح:

وأول خصائص أسلوب الحديث النبوي، جمعه بين الجزالة في المفردات والدباجة، والوضوح في الدلالة، وإن اقترن الوضوح بالجزالة في الكلام، كان قطعة رائعة في البيان الساحر وكان النبي –صلى الله عليه وسلم– يكره التقعر والإغراب في الحديث كراهية شديدة، ويؤثر الوضوح والسهولة في التعبير حتى يكون كلاما مفهوما من السامعين، وكان من أجل ذلك يترك لهجته القرشية، إذا جاءه وفد من القبائل العربية الأخرى، ويكلمهم بالأسلوب المألوف لديهم الذي يستعملونه عادة في أحاديثهم ويرى الأستاذ محمود عباس العقاد أن السمة الغالبة على أسلوب النبي –صلى الله عليه وسلم – هي سمة الإبلاغ قبل كل سمة، بل هي السمة الجامعة التي لا سمة غيرها، لأنها أصل شامل لا تفرق من سمات هي بمثابة الفروع[1].

والوضوح هو الأمر الذي تجده ظاهرا مستعلنا في حديث أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– أنهما قالت: "ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم، أو كسردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام مبين".

وفي شرحه يبين القارئ أنه "صلى الله عليه وسلم" لم يكن يعجل في كلامة ولا تتابع في كلامه بحيث يلتبس على السامع، بل كان يفضل كلامه ويتكلم بكلام واضح مفهوم غاية الوضوح، وهذه السمة تبدو مفهومة مقبولة في إطار كونه –صلى الله عليه وسلم– مأمور بالبلاغة للناس، وليس ثمة تكليف دون إيضاح وإفهام وتبيين وفي ذلك من الشفقة والرحمة بالخلق الأمر الظاهر الجلي[2].

ب– الإشارة:

من بلاغة النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه كان يستخدم الإشارة للتصوير في الحديث، ما جعل الحديث النبوي يتميز جملة وتفصيلا عن بقية النصوص البشرية الأخرى مما يحويه من صدق ويقين فكان لدى النبي –صلى الله عليه وسلم– تحويل الأشياء المعنوية إلى أشياء حسية، فكان يوظف

[1] موضوع الأحاديث القادسية دراسة بلاغية، مروة ابراهيم شعبان قوته (رسالة ماجستير)، بإشراف نعمان علوان الجامعة الإسلامية، غزة، 2007، ص 10.(بتصرف)

[2] البيان النبوي تفرد وخصوصية، فهمي خالد، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، العدد 569، 2012م، ص 27.

إشارته لتجسيم المعنويات المجردة وإبرازها في صورة مجسمة تراه العيون وتتفاعل معه القلوب، ومن ذلك ما رواه عن ابن عمر- رضي الله- عنه قال : "كأنني أنظر إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يحكي نبيا من الأنبياء، صربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول:

"ربي اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"، فجملة "يمسح الدم عن وجهه" يفهم منها المراد، غير أن حركة النبي -صلى الله عليه وسلم- بيده نبهت المتلقي النظر إلى المعنى مجسدا شاخصا يتحرك أمام عينه[1].

ج- الإيجاز:

ومن خصائص الأسلوب في الحديث النبوي هو عند البلاغيين تأدية المعاني الكثيرة والألفاظ القليلة وهو قسم المساواة والإطناب عندهم[2].

وهوما امتازت به البلاغة النبوية حتى كان الكلام لا يعدو فيها حركة النفس كأن الجملة تخلق في منطقة -صلى الله عليه وسلم- خلقا سويا، أو هي تنزع عن نفسه انتزاعا، وهذا عجيب حتى ما يمكن أن يعطيه إمرء حظه من التأمل إلاّ أعطاه حظ نفسه من العجب[3].

د- دقة الوصف في الحديث:

في الحديث النبوي لوحات وصفية نادرة في دقتها وإحاطتها وواقعيتها، ونلاحظ أن الأوصاف في الحديث جاءت مقتضيه وفق الخاصة الأصلية التي يصدر عنها الحديث في شتى الأغراض[4]، فهو دقة الوصف باستخدامه في التشبيه في التوضيح الموصوف[5].

إن خلا الحديث من وصف الطبيعة والجمال كذلك أن الوصف يعتمد في هذه الشؤون على الخيال والخيال -كما هو معروف- دعامة من دعائم الشعر[6].

---

[1] عباس محمود العقاد، المرجع السابق، ص 69.

[2] مروة شعبان قوته، المرجع السابق، ص 79.

[3] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، تح: درويش الجويدي، مكتبة العصرية، بيروت، (دط)، 2003م، ص 225.

[4] الحديث النبوي (مصطلحاته-بلاغته -كتبه)، محمد الصباغ، المرجع السابق، ص 78.

[5] التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف، محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، ط1، 1988م، ص 492.

[6] الحديث النبوي (مصطلحه- بلاغته- كتبه)، محمد الصباغ، المرجع السابق، ص80.

هـ – البعد عن التكلف والصنعة:

فالرسول –صلى الله عليه وسلم– كان أفصح العرب على أنه لما يتكلف القول ولا يقصد إلى تزينه ولا يبغي إليه وسيلة من وسائل الصنعة ولا يتجاوز به مقدار الإبلاغ في المعنى الذي يريده ثم لا يعرض له في ذلك سقط ولا استكراه وهذه الفصاحة قد كانت له إلا توقيفا من الله وتوقيفا[1].

لقد نفى الله –عز وجل– عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– التكلف حيث قال على لسانه في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴾[2].

لأن التكلف في كل أمر يحيط تأثيره، ويلقى على صاحبه ظلا من الكراهية والاستثقال، وأظهر ما يكون التكلف في قول يقال، لأن السامع لا يفتح صدره لمن يلمس فيه هذا الخلق الثقيل، ومهما كان قوله صائبا صحيحا فنه مسحة التكلف عليه.

لذلك كان بيان محمد– صلى الله عليه وسلم –سهل المأخذ قريب المتناول موجز العبارة، ومن هنا كره الرسول– صلى الله عليه وسلم– الثرثرة ونهى عن التشدق لما يعرفه من مجانيه الثرثارين والمتشدقين[3].

و– الكلام عند الحاجة:

ومما ورد في وصف منطقة– صلى الله عليه وسلم– ما رواه هند بن أبي هالة أنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتكلم في غير حاجة"؛ أي من غير ضرورة دينية أو دنيوية وهو أمر مفهوم في إطار قضية التحرز والتوخي من الكلام بلا فائدة حسية أو معنوية والمفهوم هو التطبيق العلمي لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾[4].

وهذا الذي نذكره هنا، مستنبطا من حديث ابن هالة استقر قانونا ملهما في أيدي البلاغيين القدامى وعلماء علم لغة النص المعاصرين بعين على تفهم الخطاب، وهو المعروف بمبدأ تحكيم المقام وهو بعض المفهوم من قول الحديث أنه لم يكن يتكلم فالحاجة، أو الضرورة أيا ما كان نوعها تجعل للكلام الصادر بشأنها قيمة ووجاهة، وتجعل إرتباط المتلقين له بمرسلة ارتباطا ذا خصائص نوعية مؤثرة[5].

---

[1] مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ص 282–283.

[2] سورة ص: الآية: (86–88).

[3] البيان النبوي، محمد رجب البيومي، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، ط1، 1987م، ص 247.

[4] سورة المؤمنون، الآية: (03).

[5] محمد رجب البيومي، المرجع السابق، ص 249. (بتصرف)

ز- إحاطة الكلام افتتاحا واختتاما بذكر الله تعالى:

وقد نص العلماء في معرض بيان خصائصه "صلى الله عليه وسلم" في الكلام أنه كان يفتتح الكلام ويختمه أو يختمه بذكر الله تعالى، والمعنى أن كلامه -صلى الله عليه وسلم -كان محفوفا بذكر الله ومستعينا بالله ويستفاد من هذه السمة تعليم الأمة استيعاب الزمان بذكر الوقتين ابتداء وانتهاء لتحقيق البركة حالا وقالا[1].

ك- التكلم بجوامع الكلام:

ومن كمال تلك النفس العظيمة، وغلبة فكرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- على لسانه قل كلامه وخرج قصدا في ألفاظه، محيطا بمعانيه وهذه السمة وهي تعني انطلاقة فيه واحتكامه إلى القرآن في كلامه وهو من هذه الناحية أعلى نموذج ذاب القرآن الكريم في جنانه وتجلى على لسانه.

واجتماع الكلام وقلة الألفاظ مع اتساع معناه واحكام أسلوبه في غير تعقيد ولا تكلف، ومع إبانة المعنى واستغراق أجزائه، وأن يكون ذلك عادة وخلقا يجري عليه الكلام في معنى وفي باب وهذا الذي كان يعجب له أصحابه ويرونه طبقة في هذا اللسان وطرازا لا يحسنه إنسان، وروى الأصمعي وابن الأعرابي عن رجالهما: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن معشر الأنبياء بكاء" فقال الناس البكؤ: القلة، وأصل ذلك من اللين فقد جعل صفة الأنبياء قلة الكلام[2].

وقد يحتمل ظاهر الكلام الوجهين وقد يكون القليل من اللفظ يأتي على الكثير من المعنى والقلة قد تكون من وجهين:

أحدهما التحصيل والاشتقاق من التكلف على البعد عن الصنعة ومن وجهة أخرى العجز والنقصان الآلة، وقلة الخواطر وسوء الاهتداء إلى حياء المعاني، والجهل بمحاسن الألفاظ[3].

[1] خالد فهمي، المرجع السابق، ص 27.

[2] مصطفى صادق الرافعي، المصدر السابق، ص (300-301).

[3] المصدر نفسه، ص 303.

ثانياً: التصور الفني

1- تعريف التصوير الفني:

كانت مشكلة تحديد المصطلح ولازالت تخلق تضارباً في إدراك المفاهيم الحقيقية للألفاظ ولعلّ من أهم هذه المصطلحات التي شاع ذكرها في مجالات النقد والأدب الحديث والمعاصر مصطلح (الصورة)[1].

أ- لغة: الصورة في الشكل والجمع صُوَرُ، وصِوَرُ، وقد صوره فتصور، وتصورت الشيء توهمت صورته، فتصور لي والتصاوير التماثيل[2].

وقد عرفها ابن الأثير "قائلا" الصورة ترد في لسان العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صيفته، يقال: صورة الفعل كذا وكذا أي هيئة، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته[3].

وأيضا الصورة هي التمثال وجمعها صور مثل فرقة وغُرَف وتصورت الشيء مثلث (صورته) وشكله في الذهن (فتصور) هو، وقد تطلق (الصورة) ويراد بها الصفة كقولهم (صوره) الأمر كذا أي صفته وصورة المسألة كذا أي صفتها...[4].

كما عرفها العلايلي في معجمه الصحاح في اللغة والعلوم بقوله "الصورة جمع صور عند أرسطو" تقابل مادة، وتقابل على ما به وجود الشيء أو حقيقة أو لحماله، وعند "كانط" صورة المعرفة هي المبادئ الأساسية أو الأولية التي تتشكل بها المادة المعرفية، وفي المعرفة الصورة هي الشيء الذي تدركه النفس الباطنة والحس الظاهر مع لكن الحس الظاهر يدرك أولا ويؤدي إلى النفس.....[5].

ب- اصطلاحا: التصوير هو الأداة المفضلة، حيث يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية.

حيث يعد مذهباً مقررًا، وخطة موحدة وخصيصة شاملة وطريقة معينة، يفش في استخدامها بطرائق شتى وفي أوضاع متخلفة، ولكنها ترجع في النهاية إلى هذه القاعدة الكبيرة قاعدة التصوير[6].

---

[1] الصورة الفنية في القرآن الكريم، محمد طول، أطروحة جامعية لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي، 1995م، ص 2.

[2] ابن منظور، المرجع السابق، ص 85.

[3] المصدر نفسه، ص 86.

[4] المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيوهي المقرئ، المكتبة المصرية، بيروت، (دط)، 1996م، ص 182.

[5] الصحاح في اللغة وعلومه، عبد الله العلالي، دار الحضارة العربية، بيروت، (دط)، 1974م، ص 744.

[6] نظرية التصوير الفني في القرآن الكريم للسيد قطب، صلاح عبد الفتاح خالدي، دار الشروق، القاهرة، ط 16، 2002م، ص (36 -37).

لم تعد الصورة في النقد الحديث تعني مجرد التشبيه أو الاستعارة أو المجاز بصفة عامة، بل هي في مفهومها البسيط كما يعرفها (راي لويس) لوحة مصنوعة من الألفاظ.

والصورة وثيقة الصلة بملكة الخيال ولا تقتصر على الدلالة البصرية المحدودة فهي في رأي (جون مسرى) وليدة الكلمة التي اشتقت منها وهي كلمة IMAGINATION أي ملكة التصوير والتخيل...[1].

وقد انتهي معظم الباحثين المحدثين إلى القول بأن الصورة تعني كل عناصر الشكل بحيث توضح بإزاء المضمون وهي متحدة معه تمام بحيث لا يمكن الفصل بينهما...[2].

فقد ظهر مصطلح التصوير في تراثنا القديم عند الكثير من النقاد والأدباء حيث يستوقفنا ما أورده الجاحظ في حديثه عن اللغة والمعنى في الشعر يقول إنما "الشعر صناعه وضرب من النسج وجنس من التصوير.

والصورة في الأدب تستعمل عادة للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسي وتطلق أحيان مرادفة للاستعمال الإشعاري للكلمات.

واستعملت الصورة هذا الاستعمال حديث في عالم الأدب والبلاغة والنقد، وكان العرب في السابق يستعملون لفظ (الاستعارة) للدلالة على بعض ما تدل عليه كلمة (الصورة) الأن، ومدلولها يتسع حيث يشمل مدلول بعض الألفاظ مثل (التشبيه) و(الكناية) و(المجاز)...[3].

فالتصوير في التعبير هو أرقى أنواع الفنون فالفن الرفيع هو الذي يحيل الأفكار التجريدية الجامدة إلى صورة نابضة بالحياة.

وفي أحدث المدارس يعرف النقد الأدبي وبأنه التعبير بالصورة، والتعبير الذي يرسم للمعنى صورة أو ظلا لا يخاطب الذهن وحده وإنما يخاطب معه الحس والوجدان ويثير في نفس شتى الإنفعالات والأحاسيس[4].

فكلمة صورة تستعمل للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسي وتطلق أحيانا مرادفة للاستعمال الاستعماري للكلمات[5].

---

[1] النقد التحليلي، محمد غناتي، نشر الأنجلو المصرية، (د.ط)، (د ت)، ص 59.

[2] محمد الصباغ، المرجع السابق، ص 489.

[3] صلاح عبد الفتاح خالدي، المرجع السابق، ص 75.

[4] المرجع نفسه، ص77.

[5] الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري، عبد الحميد هيمة، دار الجزائر، الجزائر، (دط)، (دت)، ص 51.

فالصورة هي معطى مركب معقد عن عناصر كثيرة من الخيال والفكر والموسيقى واللغة هي مركب يؤلف وحدة غريبة لا تزال ملابسات التشكيل فيها وخصائص اللبنة لم تحدد على نحو واضح إنها الوحدة الأساسية التي تمزج بين المكاني والزماني...[1].

2- أهمية الصورة:

الصورة بهذا الفهم، طريقة خاصة من طرق التعبير، أو وجه من أوجه الدلالة، تنحصر أهميتها فيما تحدثه، في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير.

إلا أن الصورة لن تغير من طبيعة المعنى في ذاته فهي لا تغير إلا من طريقة عرضه وكيفية تقديمه ولكنها -بذاتها- لا يمكن أن تخلق معنى، بل إنها يمكن أن تحذف دون أن يتأثر الهيكل الذهني المجرد للمعنى، الذي تحسنه أو تزينه...[2].

تتمثل أهمية الصورة الفنية -إذن- في الطريقة التي تفرض بها علينا نوعاً من الانتباه للمعنى الذي تعرضه، وفي الطريقة التي تجعلنا نتفاعل مع ذلك المعنى، وتتأثر به، إنها لا تشغل الانتباه بذاتها، إلا أنها تريد أن تلفت انتباهها إلى المعن الذي تعرضه، وتفاجئنا بطريقتها في التقديم. هناك معنى مجرد اكتمل في غيبة من الصورة. ثم تأتي الصورة فتحتوي ذلك المعنى أو تدل عليه، فتحدث فيه تأثير متميزا وخصوصية لا فئة، ذلك أنها لا تعرضه كما هو في عزله واكتفاء ذاتيين، وإنما تعرضه بواسطة سلسلة من الاشارات إلى عناصر أخرى ومتميزة عن ذلك المعنى لكنها يمكن أن ترتبط به على نحو من الأنحاء، وبهذه الطريقة تفرض الصورة على المتلقي نوعا من الانتباه واليقظة، ذلك أنها تبطئ ايقاع التقائه بالمعنى، وتنحرف به إشارات فرعية غير مباشرة، لا يمكن الوصول إلى المعنى دونها.

وهكذا ينتقل المتلقي من المجاز من ظاهر المجاز إلى حقيقته، ومن ظاهرة الاستعارة إلى أصلها ومن المشبه به إلى المشبه ومن المضمون الحسي إلى المباشر، للكناية إلى معناها الأصلي المجرد، ويتم ذلك كله خلال نوع من الاستدلال، ينشط معه ذهن المتلقي ويشعر إزاءه بنوع من الفضول، يدفعه إلى تأمل علاقات المشابهة أو التناسب، التي تقوم عليه الصورة، حتى يصل إلى معناها الأصلي السابق في وجوده عليها، وعلى قدر الجهد المبذول في هذه العملية، وعلى قدر قيمة المعنى الذي يتوصل إليه

[1] المرجع نفسه، ص 56.

[2] الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، ط3، 1992م، ص 323.

المتلقي، وتناسبه مع بابذال فيه من جهد تتحدد المتعة الذهنية التي يستشعرها المتلقي، وتتحدد بالتالي قيمة الصورة الفنية وأهميتها...[1].

3- مزايا نظرية التصور الفني:

توفرت لنظرية التصوير الفني عدة مزايا وضعتها في مكانتها اللائقة، في الدراسات القرآنية، وأكسبتها قيمة عظمى، ومن أهم المزايا[2]:

أ- تعتبر فكرة التصوير الفني، فكرة خاصة في الأدب والنقد، إذ أن التعبير بالصورة - التصوير- من أرقى وسائل التعبير في الأدب، وحديثا قيل: (أن الأدب هو التعبير بالصورة) والأدب المصور سواء أكان شعرا أو قصة، أو مقالة أو بحثا، يخاطب النفوس والمشاعر، ويؤثر في الوجدان والضمير، أكثر بكثير من الأدب المجرد.

كذلك يعتبر المذهب التصويري المذهب النقدي المفضل لدى النقاد المرهفين، حيث يؤثرونه على ما عداه من المذاهب ويخلطونه في الأعمال الأدبية التي يتناولونها....

ب-تعتبر فكرة التصوير الفني دراسة جادة أصيلة رائدة، حول أسرار وأساليب التعبير، وإدراك بعض أسرار الإعجاز فهو يتناول المواضيع من الزاوية الفنية الجمالية.

جـ- أزال سيد قطب بفكرة التصوير الفني التي جاء بها الفجوة الهائلة بين الفن والدين وأنهى الفجوة المفتعلة بين رجال الفن الصادق وبين المثقفين الواعين من أصحاب العلوم الإسلامية، وبخاصة دارسي القرآن الكريم منهم.

كانت كلمت الفن إذا أطلقت فنها تنصرف إلى الفن الساقط الهابط، الذي يدغدغ الشهوات، ويحث على الرذيلة والذي تقيئته وسائل الإعلام المختلفة كل يوم من صور تمثيليه أو سينما، أو قصيدة، هذا الفن المتمثل في الكلمة المكشوفة والحركة القبيحة والقصة العارية والأغاني الداعرة... ولعل هذا الاستخدام البائس لكلمة الفن هو الذي حملها ظلال سيئة، تكون أول ما تنصرف إلى الذهن عند إطلاقها، فيحصل على هذا المعنى القبيح، وينسى السامع معناه السامي.

إلى النفوس السوية والفطرة المستقيمة مفطورة على حب الفن الصادق، والاستمتاع بالجمال الحقيقي بالجماع الحقيقي، والبحث عن هذا وتحريه في ما يحيط بها من مناظر ومشاهد وألوان وظلال.

---

[1] المرجع نفسه، ص (328-327).

[2] صلاح عبد الفتاح خالدي، المرجع السابق، ص (367-375).

ولقد ارتفع سيد قطب بالفن الصادق إلى مستوى عال، وانتشله من الهوة الأسنه التي ألقاه فيها دعاة الرذيلة.

د- وفق سيد قطب في دراسته إلى بيان موضع الفن بالنسبة للدين الإسلامي، حيث لم تخل أية ديانة من الفن ولكن البشر حرفوه عن موضعه في الديانتين السابقتين النصرانية واليهودية، ووضعوه في صلب العقيدة، في صفات الله وتألية المسيح -عليه السلام- بينما العقيدة الإسلامية بقيت كما هي منزلة من عند الله، والفن إنما هو في طريقة القرآن الكريم، في التعبير والعرض، حيث خاطب القرآن الكريم حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية وعرض مختلف الأغراض والمعاني، بالطريقة الفنية الجميلة في التعبير، طريقة التصوير، وبهذا حافظ على نقاء العقيدة الإسلامية واشبع رغبات النفوس الفنية.

هـ- كانت فكرة التصور الفني، محاولة ناجحة لإدراك الخصائص العامة للجمال الفني القرآني، وقد أشار سيد قطب بأنه مر بثلاث مراحل هي:

- مرحلة التذوق الفطري المباشر:

مع عدم التعليل والبيان، ويمثل هذه المرحلة الصحابة الكرام رضوان الله عنهم، حيث كانوا يلاحظون تأثير القرآن فيهم، ويتذوقون جماله الفني مسحورين مبهورين فقد شغلهم جمال التلقي والاستماع عن جمال البحث والتعليل.

- مرحلة إدراك الخصائص الجزئية:

ويمثل هذه المرحلة المفسرون وأصحاب الدراسات الخاصة حول علوم القرآن بيانه وأسلوبه، وإعجاز بلاغته....

- مرحلة إدراك الخصائص العامة للجمال الفني في القرآن الكريم:

ويقف سيد قطب وحيدا متفردا، يمثل هذه المرحلة حيث تخلص من العقلية القديمة التي كانت تنظر في كل نص على حده، وراح ينظر في نصوص القرآن الكريم مجتمعة، وفي أسلوب القرآن كاملا.

و- كان سيد قطب عندما تحدث عن فكرة التصوير الفني موهوبا ثلاث مرات:

- عندما وقف على اكتشاف هذا التصوير الفني، وأنه الطريقة المفضلة في تعبير القرآن الكريم والقاعدة العامة فيه.

- عندما وقف إلى معرفة خصائص هذه الفكرة وسماتها، وأفاقها المختلفة، والأغراض التي استخدمت في عرضها، فالفكرة لم تكن قائمة عنده، ولم تكن ومضة تضيئ سريعة ثم تمضي، وإنما كانت قاعدة عامة لها خصائص وسمات، ولها ألوان وأفاق.

– عندما عرض هذه الفكرة بخصائصها وأفاقها، إذ عرضها بأسلوب البليغ وبيانه الساحر، وتعبيره السلس، عاطفته القوية، فسيد قطب لم يبدأ دراسته من فراغ إنما درس وطالع واطلع على جهود من سبقه في هذا المجال....

وما أظن أن أحداً من الأدباء لو وقف إلى اكتشاف فكرة التصوير الفني في القرآن يستطيع أن يعبر عنها هذا التعبير البليغ، وبعرضها هذا العرض الساحر، في هذا الأسلوب السلس.

ز– كان سيد قطب أثناء تأليفه كتاب التصوير الفني يعرض بعض مباحثه على ذوي الاختصاص، ولذلك توفرت لدراسة عناصر المنهجية والتوثيق والأصالة.

ك– ما تميز به دراسة السيد قطب عن دراسات من سبقه من العلماء والباحثين، أن أولئك كانوا يكتفون بالدراسة الذهنية العقلية المجردة، لأسلوب القرآن الكريم، والنظر في إعجازه، ويقومون بعرضها بأسلوبهم الخاص.

أما سيد قطب فقد نظر إليها بذهنه وعقله، وحسه ومشاعره وضميره، ووجدانه وانفعالاته، ما نتج عنه ما يحسه من وقع هذه الصور، تعبيرا مؤثرا موحيا، خاطب به نفس القارئ وذهنه وعقله، وضميره ووجدانه.

ل– وكنتيجة للنقطة السابقة فقد أثرت دراسة في القراء والباحثين، أكثر مما أثرت فيهم دراسته السابقة ولعل السبب في ذلك هو أنهم كانوا يكتفون بالوصف الذهني، المجرد والوصف الغيبي الجاف، الخالي من الصور والظلال أما سيد قطب فكان يصف الجمال الفني في القرآن وصفا حاضراً محسوسا ملموسا.

وكل ذلك كان عبر التصوير الفني ما جعل القارئ يفتح منافذ نفسه، وأطواء حسه ومناحي وجدانه، لاستقبال ما توحيه من أضواء وأصداء وصور وظلال.....

فنظرية التصوير الفني –لهذه المزايا– كان لها أثرها في الدراسات القرآنية البيانية المعاصرة، وكانت لها منزلة سامية بين البحوث والدراسات القرآنية.

4– وظيفة الصورة الفنية:

لقد أشار علماء البلاغة إلى أن التراث النقدي والبلاغي لم ينظر إلى الأدب من زاوية تؤكد دور المبدع، وتقدم الضرورة الداخلية الملحة، التي تدفعه إلى التعبير بالصورة، باعتبارها مظهراً من مظاهر الفاعلية العلاقة بين اللغة والفكر ووسيلة للتحديد والكشف.

ونجد وظيفة الصورة قد اتسعت في رأي الرماني وهو يركز على وظيفة التوضيح والإبانة وذلك من

منطلق الفكر والعقل يقول: "وللتشبيه البليغ إخراج الأغمض إلى الأظهر بأداة التشبيه مع حسن التأليف وهذا الباب يتفصل فيه الشعراء وتظهر فيه بلاغة البلغاء وذلك أنه يكسب الكلام بيانا عجيبا..." والأظهر الذي يقع فيه البيان بالتشبيه على وجوه منها:

إخراج ما لا تقع عليه الحاسة ومنها إخراج ما لم تجربه العادة إلا ما جرت به العادة ومنها إخراج ما لم يعلم بالبديهة، ومنها إخراج ما لا قوة له في الصفة"[1].

حيث تعتبر الصورة مصدرا للتأمل ومنجما للعواطف والأفكار ووظيفة الصورة الفنية عند القرطاجي تملصت في دور التزيين والزخرفة إلى دور أخر تمثل في الشرح والتوضيح[2].

ولا تكتفي الصورة الفنية بوظيفة الشرح والإبانة لتؤدي غرضها الإقناعي، بل هي تحقق نفس الغاية عن طريق المبالغة .

أما ابن سينا فقد خطا بنا نحو وظيفة أخرى للصورة عدا وظيفة التأثير، وهي وظيفة(العجب) وهي وظيفة غرضها إمتاع المتلقي وإثارة عجابه، بعيدا عن التحسين والتقبيح[3].

[1] الرماني أبو الصنعلي ابن عيسى، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن تح: محمد خلف الله وزغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1968م، ص 75.

[2] محمد طول، المرجع السابق، ص 23.

[3] المرجع نفسه، ص22.

ثالثاً:لمحة عامة عن الغيب.

1-تعريف الغيب:

أ- لغة: كل ما غاب عنك أو هو كل ما غاب عن العيون وإن كان محصلا في القلوب وغاب الأمر عني غيبا ومغيبا. وسمعت صوتا من وراء الغيب أي من موضع لا أراه والغيب خلاف الشهادة والحضور، والمغايبة هي المخاطبة، وغيبة غيابة أي دفن في قبره وغاب الرجل غيب وتغيب فسافر وامرأة غاب بعلها أو أحد من أهلها يقال هي مغيبة[1].

ب- اصطلاحا: قيل الغيب كل ما أخبر به الرسول -صلى الله عليه وسلم-، بما لا تهتدي إليه العقول وقيل الغيب الاعتقاد، بوجود وراء المحسوس، والقرآن يقرر الغيب لله وحده، لا يعلمه سواه[2] في قوله تعالى:﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[3].

والغيب يأتي عن طريق الوحي فهو الطريق الوحيد لتعريفنا بحقائق الأشياء الداخلية في عالم الغيب فالوحي يبلغ الرسل والأنبياء عليهم -الصلاة والسلام- فهم صادقون بلا مرية في جميع ما ينقلونه ألينا ويبلغوننا ما نقلوه عن الوحي بشكل يقيني واضح، وما علينا -بعد أن علمنا صدقهم وتأييدهم من قبل الخالق العظيم بالمعجزات وخوارق العادات- إلا أن نؤمن به، ونسلم تسليما، ثم بعد أن نؤمن -جازمين ومسلّمين بما جاءنا عن طريق الوحي الصادق- يجب علينا عقلا أن نقف عند حدود النص الذي نقله الرسول -صلى الله عليه وسلم- لنا عن طريق الوحي، دون أن نزيد عليه شيئا من التخيلات أو التصورات.

ودون أن نتلاعب فيه بتأويلات تعسفية، إلا أن ينكشف العلمية الثابتة بيقين، التي يتطور إليها العلم بسبب استخدام الطاقات الكونية الكامنة، فعندئذ يصح لنا أن نقرر ما أنكشف لنا منه وأن نثبته.

أما من دون ذلك فلا، لأن كل زيادة أو تخيل، أو تأويل تعسفي، إنما هو تحكم في الأمور الغيبية بالباطل، حيث لا مستند لذلك من إدراك حسي، أو استنتاج عقلي أو نص موحى به[4].

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ج1، (د ط)، 1388هـ، ص653 .

[2] عالم الغيب وأسراره، عبد المعز خطاب، دار الاعتصام، القاهرة، (د ط)، 1980م، ص9 .

[3] سورة الجن، الآية:(26).

[4] العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط2، 1979م، ص25 .

2- خصائص الغيب:

الغيب هو العقبة التي يجتازها الإنسان فيعلو الدرجات في الرقي، وينفرد عن من لا يدرك إلا ما تدركه حواسه، وهذه نقلة بعيدة الأثر في تصور الإنسان لحقيقة الوجود كله. والغيب هو المقابل للشهادة، وهو العتبة التي يقف عندها البشر من حيث المعرفة فهو الله -عز وجل- بل هو الفيصل بين العبودية والألوهية الكاملة وعليه فعلم على وجه الإحاطة به من خصائص الله -سبحانه وتعالى- أما البشر فليسوا مهيئين بتكوينهم هذا للإطلاع على الغيب إلاّ القليل منه، وهو الذي يطلعهم عليه ربهم عز وجل لا بقدرتهم الخاصة، ولهذا قال الله تعالى على لسان نبيه المبين محمد - صلى الله عليه وسلم-: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[1]، ويقول على لسان رسوله الكريم- صلى الله عليه وسلم-:﴿ ... وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ ...﴾[2]، فحصر الله علم الغيب المطلق فيه وحده في قوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ ... ﴾[3]، وقال:﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾[4]، وليس البشر وحدهم هو الممنوعون عن علم الغيب المطلق بل حتى الجن والملائكة ممنوعون عن هذا رغم أنهم يعرفون بعض ما لا نعرفه لأن الأمر نسبي. وقد أوضح الله تعالى عدم علم الجن للغيب المطلق في قصة سليمان -عليه السلام- بقوله:﴿...ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ﴾[5].

قال محمد العزالي: "وللجن قدرة أبعد مدى من قدرة البشر، إنهم يغزون الفضاء بطاقاتهم العادية من زمان قديم، ولكنهم لا يعلمون الغيب، وما يكون غيبا أحيانا بالنسبة لنا قد يكون عيانا بالنسبة لهم، والحدأة[6] لا تعلم الغيب إذا كانت ترى من الجو ما لا نراه نحن تحت أقدامنا، فإذا استطاع شيطان[7] أن يعرف بعض ما نجهله عن الأشخاص أو الأشياء وهي معروفة محدودة وقد تكون مغلوطة، فليس هذا علما بالغيب، وبالتالي فإن ما يثرثر به في مجالس التحضير لا يدل على شيء ذي

---

[1] الأعراف، الآية: (188).

[2] الأنعام، الاية: (50).

[3] الأنعام، الاية: (59).

[4] النمل، الأية: (65).

[5] سبأ، الأية: (14).

[6] ابن منظور، مرجع سابق، ص54. (الحدأة طائر يصيد الجرذان)

[7] الإيمان بالغيب، بسام علي سلامة العموش، دار المأمون للتوزيع والنشر، المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، 2010م، ص15 .

بال"[1]، فمعرفة الغيب المطلق والإحاطة به من خصائص الله تعالى، ومع هذا فالأنام يعلمون (من الغيب) ولا يعلمون (الغيب) وهذا القليل من الغيب تحصّل لهم بتعريف الله تعالى لهم إياه فليس بذكاء ولا بجهد، وإنا اصطفاه الله –عز وجل– لأناس من خلقه وتخصيص منه لهم بذلك، ومن قوله تعالى:﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾[2].

وأما عن علم البشر للغيب ليس من ضرورات الخلافة في الأرض، ولو كان كذلك لأطلعهم الله عليه حيث أنه كلفهم بالخلافة وهيأ لهم كل ما يلزم من أجل هذه الخلافة، ولو كان علم الغيب من ضرورات الخلافة، ولم يعطهم إياه لكان تكليفا بما لا يطاق وحاش الله.

والجزء البسيط الذي أطلع الله عليه بعض مخلوقاته هو من ضرورات الحياة ليتحقق الابتلاء الذي خلق الله –عز وجل– الخلق من أجله، ومن هذا الغيب ما أخبر به الرسول– صلى الله عليه وسلم– من أخبار كدلائل على صدق النبوة[3]. يقول رشيد رضا: "وهو كقول الله تعالى على لسان عيسى عليه السلام": ﴿ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾[4].

3– أقسام الغيب:

ينقسم الغيب إلى قسمين وهما كما يلي:

أ– قسم قابل لأن يكون من عالم الشهادة إذ تهيأت للمخلوقات شروط مشاهدته وهو قسم أكبر نسبيا من عالم الشهادة.

ب– قسم غير قابل لأن يكون من عالم الشهادة، لأنه مما أستأثر الله بعلمه لنفسه.

وهناك أشياء تكون من عالم الغيب بالنسبة للإنسان أو غيره من المخلوقات لكنها قد تكون من عالم الشهادة بالنسبة للجن أو الملائكة أو مخلوقات أخرى.

---

[1] ركائز الإيمان، محمد قطب إبراهيم، دار الأمل العالمية للنشر، د ط، الكويت 1387هـ، ص359. (بتصرف)

[2] الجن، الآية:(26–28).

[3] في ظلال القران، السيد قطب، دار المعرفة للنشر، بيروت،ط8، ، (د.ت)، ج1،ص70.

[4] يوسف، الآية:(37).

وقد يسمى ما غاب عن إحساسات بعض الناس غيبا وذلك بالنسبة لهم فقط، وهذا الغيب عن بعضهم قد يكون أمرا عاديا مشهودا بالنسبة لغيرهم، فلا يسمى الإطلاع على علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه[1] .

وأما موضوعات الغيب فهي كثير لأن ما أعلمنا الله به ما هو إلا قليل القليل ولعل من أهم موضوعاته ما شمل عالم النعيم والجحيم وعذاب القبر ونعيمه وحسابه للمؤمنين والكافرين يوم الحشر....الخ .

[1] عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني، مرجع سابق، ص(25- 27).

الفصل الثاني

التصوير الفني في أحاديث عالم الغيب

أولاً: التصوير بالصور البيانية.

ثانياً: التصوير بالقصة

ثالثاً: التصوير بالوصف.

رابعاً: التصوير بالحركة والإشارة والرسم.

خامساً: التصوير بالأمثال.

أولاً: التصوير بالصور البيانية.

1- التصوير بالتشبيه:

التشبيه وهو التمثيل[1]، وله تعريف آخر للخطيب القزويني بأنّه: "الدّلالة على مشاركة آمر لأمر في معنى" ويضيف: "والمراد هنا ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقة والاستعارة بالكناية"[2].

ألا أن مؤداها يشير إلى أنه عقد مشاركة بين شيئين في صفة مشتركة بأداة مذكورة أو مقدرة لغرض يقصده المتكلم والأديب عندما يريد إبراز وصف شيء ما يعمد إلى اختيار شيء آخر تكون الصفة فيه ظاهرة وبارزة، فيجعله مشبها به، ويأتي الجمال فيما ينقل من الصورة الكامنة وحسن الاختيار للطرف الثاني. المشبه به. وما ينتج من وجه الشبه من دلالة على قوة النفاذ إلى عمق الشيء.

فالتشبيه أصل أصيل في الكلام العربي، وهو يقع في مقدمة الألوان البيانيّة لما يحدثه من ربط بين الأشياء وإيضاح واختصار، فهو طريق من طرق التعبير التي يجد فيها القارئ متعته. حيث أن التشبيه يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيدا ويكسب الكلام بيانا عجيبا. وهذا الفن من الفنون يوزن بها مستوى الكلام البليغ وبها تقاس مدى جودته. وقد كانت للنبي -صلى الله عليه وسلم- أحاديث شريفة نجد فيها ملامح تشبيه.

يعد التشبيه من الأساليب التعبرية التي كثرت في الكلام النبوي، وذلك لما فيه من قدرة على التعبير والتأثير، والإبانة والإقناع، فالتشبيه أسلوب من أساليب الحقيقة.

وأسلوب من أساليب العرب البيانية وفيه تكون الفطنة والبراعة لهم في البيان. ويرجع بعض محاسن الكلام إليه. بما أن رسول —صلى الله عليه وسلم- كان راس الفصاحة. ومجمع البلاغة، وذروة البيان بلا منازع، فكان -صلى الله عليه وسلم- يخاطب العرب بلغتهم على اختلاف قبائلهم بأفصح بيان وأبلغه[3].

كما استخدم النبيّ- صلى الله عليه وسلم- وسائل بيانيّة متنوعة تعينه على إيصال ما يريد ببلاغة وفصاحة، فقد كان النبي-صلى الله عليه وسلم-راس الفصاحة ومجمع البلاغة، وذروة البيان، ومن هذه الفنون البلاغية التي استخدمها النبي -صلى الله عليه وسلم- بوصفها وسائل معينة على إيصال

[1] عبد الله العلالي، المرجع السابق، مادة شبه.

[2] شروح التخليص، للتفتازاني وآخرون، والدسوقي ،مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه ،مصر (د.ط)، (د.ت)، ص287.

[3] دراسة صور التشبيه في الكلام النبوي الشريف، محمد إبراهيم خليفة شوشري وعلي أكيد نور ميده، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصيلة محكمة، العدد 9، 2012م، ص26.

الرسالة التي يريد النبيّ —صلى الله عليه وسلم-إبلاغها، فنّ التشبيه الذي يعدّ مرتكزا أساسيّا من مرتكزات البلاغة عند النبيّ -صلى الله عليه وسلم- فقد وظفّ النبي -صلى الله عليه وسلم- التشبيه توظيفا أساسيا في أحاديثه، وأفاد من القيمة الجمالية التي يقدمها التشبيه للعبارة، حيث وظّفه على اختلاف أشكاله وأنواعه وصفاته التي تحدث عنها العلماء، فنجد في حديث النبيّ -صلى الله عليه وسلم- أشكالا متنوعة ومتعددة للتشبيه جاءت لأغراض وأهداف عند النبيّ -صلى الله عليه وسلم- وكانت ذا تأثير واضح في العبارة. وكان لها دورها الكبير في إظهار مدى بلاغة النبيّ -صلى الله عليه وسلم- وفصاحته[1].

ومحاسن هذا اللون من فنون البيان تتحقق بمهارة في حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- فصورته التشبيهية تعتمد على الخيال المبدع في التصوير، حيث إنّ عباراته -صلى الله عليه وسلم- في هذا اللون من الكلام تأتي حاوية للصور المعبّرة المستوحاة من التشبيه، لأن في كل صورة من صور حديثه الشريف ميزة يقوى بها المعنى بما يستدعيه الموقف استجابة لصدق عاطفته وغيرته على من يخاطب[2].

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يوتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد: يا أهل الجنّة فيشرئبّون، فيقول: هل تعرفون هذا ؟ فيقولون: نعم هذا الموت. وكلّهم قد رآه، ثمّ ينادي: يا أهل النّار فيشرئبّون، وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم هذا الموت. وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت. ثم قرأ:﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[3]"[4].

يخبرنا الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن أمر من أمور الآخرة، ويصوّر لنا عليه -الصلاة والسلام- هذا الأمر بصورة حركيّة حتى تكون أكثر ثباتا ورسوخا في أنفسنا فيقول: "يؤتى بالموت" بصيغه الفعل المضارع المبنيّ للمجهول مع أنّ هذا الأمر هو أمر مستقبلي وذلك مبالغة في استحضار

[1] التشبيه بالحيوان في الحديث النّبوي دراسة تحليليّة وصفيّة، عفاف بنت أحمد العبدلي، رسالة ماجستير في البلاغة- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة طيبة، 2010م، ص35.

[2] الخصائص الفنية في الأدب النبوي، محمد سعد الدبل، أشرفت على طباعته ونشره دار الثقافة والنشر بجامعة الإمام بن سعود الإسلامية،(د.ت)، ص193.

[3] مريم، الآية: (39).

[4] صحيح البخاري، أبو عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزنه، تركيا، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، (د.ت)، ج5، ص236- 237، [كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة مريم].

الصورة وكأن أحداثها تجري الآن أمامنا، ثم يصف –صلى الله عليه وسلم– هذا الموت بقوله: "كهيئة كبش أملح" ف(الكاف) للتشبيه، وقد قونه بلفظة (هيئة) لتجعل الصورة أكثر تجسيدا ووضوحا، وقوله: "كبش أملح" الكبش الأملح هو "الذي فيه بياض وسواد"، وهذا الإختيار لهذا اللّون فيه جمال ودقّة في اختيار الألفاظ. إذا إنّ اللون الأبيض بما فيه من بهجة وجمال يمثل أهل الجنة، واللون الأسود بما فيه من الغموض وما يحمل من الضّلال والخوف يمثّل أهل النار. ثمّ يقول عليه الصلاة والسلام: "فينادي مناد: يا أهل الجنّة"، والنّداء هنا للتنبيه على رؤية الكبش، ثم يقول: "فيشرئبون وينظرون" ونلاحظ استخدامه –عليه الصلاة والسلام– لحرف العطف(الفاء) الذي أعطى الصورة جمالا وسلاسة، وجعل الحوار يتلاحق بمنطقيّة في سهولة ويسر ودون تكلف، ثم استخدم بعد ذلك عليه الصلاة والسلام في قوله: "فيشرئبّون وينظرون" حرف العطف(الواو) وذلك أعطى المعنى وضوحا أكثر حيث دلّ على أنّهم رفعوا رءوسهم وأظهروها معا. فالوصل أدى إلى تأكيد حدوث الفعلين منهم تفاؤلا واستبشارا مما يسمعونه، ومعنى "يشرئبّون" من اشرابّ الرّجل: مدّ عنقه، وقيل: هو إذا ارتفع وعلا "أي يرفعون رؤوسهم لينظروا، ثم قال عليه الصلاة والسلام: "فيقول هل تعرفون هذا؟ والاستفهام هنا من المنادي للتأكيد على أنهم قد رأوا الكبش وعرفوه كما كانوا يعرفونه في الدنيا، ثم يقول: "فيقولون نعم هذا الموت"، فقولهم: "فيقولون نعم هذا الموت". ولم يقولوا: (هذا الكبش) يدلّ على معرفتهم بحقيقة الموت وأنهم قد رأوه قبل أن يجعله الله على هيئة كبشي، وربّما خوفهم من الموت وكراهيتهم له هو ما جعلهم ينطقون بحقيقته، حتى وإن كان الله –عزّ وجلّ– قد حوّله على هيئة كبش، ثم قوله عليه الصلاة والسلام: "وكلّهم قد رآه"، تأكيد منه على أنّ كلّ إنسان في الجنّة قد رأى الموت وعرفّه، لأنّه قد مرّ على كلّ حيّ في الدّنيا، لذا كان معروفا عندهم[1].

ثم ينقلنا البيان النّبويّ إلى الجزء الثاني من هذا الحوار في هذه الصورة الغيبية والجزء الآخر كان مع أهل النار، حيث يقول عليه الصلاة والسلام: "ثمّ ينادي: يا أهل النّار"، ونلاحظ أنّه –صلى الله عليه وسلم– قد عدل هنا عن حرف العطف(الفاء) في قوله: "فينادي، فيشرئبون، فيقولون، فالفاء هنا دلّة على الترتيب بين الأحداث والتعقيب مباشرة بينهما، بينما استعمل– صلى الله عليه وسلم– في بداية الأحداث عن أهل النّار بحرف العطف(ثم) لأنّه تحدث أولا عن أهل الجنة، فاخذ ذلك– فسحة من الوقت حتى انتقل الحديث عن أهل النار، كذلك الملك أو المنادي في الصورة التشبيهية

[1] عفاف بنت أحمد العبدلي، مرجع سابق، ص (193– 194).

كان في حديثه ترتيب وتراخ، لأنّه تحدّث أولا مع أهل الجنة وأخذ ذلك وقتا زمنيّا قصيرا ثم أعقب الحديث مع أهل النار، وهذا ما نفهمه من حرف العطف(ثم)، وقوله عليه الصلاة والسلام: "فيشرئبّون وينظرون" أي أنّه حدث منهم ما حدث من أهل الجنة في أنّهم رفعوا رؤوسهم ونظروا إليه والوصل هنا أيضا أدى إلى تأكيد حدوث الفعلين منهم، لكن خوفا وجزعا مما يسمعونه.

ثم قوله: "فيقول هل تعرفون هذا؟"، واستفهامه هنا للتأكيد على أنّهم جميعا قد رأوه، ثم "يقول فيقولون: نعم هذا الموت" لأنّهم قد عرفوه في الدنيا ومرّ بكلّ واحد منهم، وقوله: "وكلّهم قد رآه" تأكيد أيضا على أنّ كلّ إنسان في النّار قد رآه وعرفه، ثم يقول عليه الصلاة والسلام: "فيذبح"، وهنا تأتي خاتمة هذا الحوار ونهايته مع أهل الجنّة والنّار. وفي هذه الصورة الأخرويّة يذبح هذا الكبش الذي هو حقيقته شيء قهر النّاس وهدم لذاتهم وفرّق أحبتّهم، يذبح كرمز للفداء، حيث إن الكبش هو الحيوان الذي فدى الله به نبيّه اسماعيل عليه السلام، فوقع الإختيار عليه دون غيره من الحيوانات وذلك أبلغ وأوقع في النفس، وفي موت الموت ونهايته سعادة وسرور لأهل الجنّة، وفي موته حزن لأهل النّار لأنّهم سيمكثون ويخلّدون في النّار.

■ ثم يقول عليه الصلاة والسلام: يا أهل الجنّة خلود فلا موت، ويا أهل النّار خلود فلا موت فالنّداء هنا للتنبيه على إعدامه وأنّه لا يعود، ونلاحظ أنّ الرسول –صلى الله عليه وسلم– هنا قدم أهل الجنّة على أهل النّار، وذلك لتعجيل المسّرة لهم وهو نوع من الحفاوة بهم، كما نلاحظ في الصورة السابقة مجيء الأفعال صيغة المضارع: "يؤتى، فينادي، فيشرئبون وينظرون، فيقول، تعرفون فيقولون لتقريب الصّورة وجعلها واقعيّة" وكأنها تحدث الآن، وهذه الصيغة جعلت الصورة أيضا. متحركة بحيث تكون أكثر وضوحا ويقينا في النفس[1].

أما في حديث آخر يدور حول جانب من رحمة الله تعالى بالمؤمنين، فهو الغفّار يغفر ذنوبا عظيمة في ذلك اليوم العظيم.

■ قال صلى الله عليه وسلم: "يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال، فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنّصارى..."[2].

[1] عفاف بنت أحمد العبدلي، المرجع السابق، ص(194– 196).

[2] صحيح مسلم شرح النووي، دار إحياء التراث العربي، لبنان،ج1، ط3، 86/17.

يبيّن عليه –الصلاة والسلام– في هذا الحديث سعة رحمة الله– سبحانه– بعباده المؤمنين وقد جاء قبل هذا الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: "إذا كان يوم القيامة دفع الله– عز وجل– إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فكاكك من النّار"[1].

- وفي رواية: "لا يموت رجل مسلم إلاّ أدخل الله مكانه النّار يهوديا أو نصرانيا"[2]. فهذه روايات يفسر بعضها بعضا، أي أن الله تعالى يغفر تلك الذنوب للمسلمين، ويسقطها عنهم، ويضع على النصارى مثلها بكفرهم وذنوبهم، فيدخلهم النّار بأعمالهم لا بذنوب المسلمين.

ولابد من هذا التأويل لقوله تعالى:﴿...وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ...﴾[3]، وقوله: (يضعها) مجاز والمراد يضع عليها مثلها بذنوبهم، لكن لما أسقط الله سبحانه وتعالى عن المسلمين سيئاتهم وأبقى على الكفار سيئاتهم صاروا في معنى من حمل إثم الفريقين لكونهم حملوا الإثم الباقي وهو إثمهم.

وقيل: "ويحتمل أن يكون المراد آثاما كان للكفّار سبب فيها بأن سنّوها، فتسقط عن المسلمين بعفو الله تعالى. ويوضع على الكفّار مثلها لكونهم سنّوها، ومن سنّ سنّة يئسة كان عليه مثل وزر كل من يعمل بها"[4].

والتشبيه وارد في قوله المصطفى: "يجيء أناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال...حيث شبّه– صلى الله عليه وسلم– الذّنوب بالجبال في ضخامتها وارتفاعها، والغرض من التشبيه بيان المقدار للمشبّه، وقد تم من خلال هذا التشبيه.

والطرفان عقلي (الذنوب والخطايا) وحسي (الجبال) فهو تشبيه عقلي بحسي تمّ من خلاله تجسيدا المشبّه وتصويره لمعرفة شيء من سعة رحمة الرحمن.

فمع هذا العظم والضخامة (أمثال الجبال) فرحمة الله– سبحانه–لا يحول دونها شيء(فيغفرها الله لهم) فالحديث يحث على عدم القنوط من رحمته.سبحانه. وإلاّ ييأس منها مهما عظمت تلك الذنوب، فالله غفور رحيم وهو على كل شيء قدير[5].

---

[1] المرجع نفسه، 85/17، والفكاك، الخلاص والفداء.

[2] المرجع نفسه، 85/17.

[3] الزمر، الآية:(7).

[4] المرجع نفسه، 85/17 "الهامش".

[5] التشبيه في صحيح مسلم دراسة تحليلية وأحمد عيضة أحمد الثقفي، رسالة ماجستير في البلاغة والنقد، السعودية، جامعة أم القرى، 1423هـ، 2002م، ص(134- 135).

ومن الأحاديث الغيبية أيضا حديث يصور دنو الشمس من الخلائق الناتج عن ذلك الدنو ارتفاع في العرق على قدر أعمال العباد.

■ عن المقدادين الأسود قال: سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول: "تدنى الشّمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل. قال سليم بن عامر: فو الله ما أدري ما يعني بالميل أمسافة الأرض أم الميل الذي تُكتحلُ به العين؟ قال: فيكون النّاس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إجاما. قال: وأشار رسول الله – صلى الله عليه وسلم- بيدهُ إلى فيه"[1].

إنها صورة مخيفة، الشمس تقترب من الخلق يوم القيامة، وبحيرات من العرق تحاصرهم، قال القاضي: "ويحتمل أن المراد عرق نفسه وغيره، ويحتمل عرق نفسه خاصّة، وسبب كثرة العرق تراكم الأهوال ودنو الشمس من رؤسهم وزحمة بعضهم بعضا"[2].

والرّاوي لم يحدد المقصود من الميل أهو مسافة من الأرض أم الأداة التي يكتحل بها، والتشبيه يبيّن من خلاله عليه -الصلاة والسلام- مقدار قرب الشمس من الخلائق، وقد وضّح عليه -الصلاة والسلام- النتيجة من عملية قرب الشمس، فقال: " فيكون الناس عن قدر أعمالهم في العرق..."

شبّه عليه -الصلاة والسلام- قرب الشمس يوم القيامة من أهل الموقف بقرب المسافة الكائنة بالميل أو قرب ما يكتحل به من العين.

والغرض من التشبيه بيان مقدار قرب الشمس يوم القيامة، والحث عن الأستزادة من الأعمال الصّالحة لأنها الأساس، والمعوّل عليها في نسبة العرق وفي سرعة المرور على الصراط كما سبق وقد أتى-صلى الله عليه وسلم- بعد دنو الشمس من الخلائق بيان حال النّاس في ذلك اليوم العظيم ليزداد المحسن إحسانا وينجو من حرّ ذلك اليوم، ويرجع المسيء فيعمل صالحا يقرّبه من ربّه[3].

ومن الأحاديث التي تصف لنا جهنم ومدى حرّها، وكان التوضيح فيها بالعدد فعن أبي هريرة

[1] صحيح مسلم بشرح النووي، 17/ 196.

[2] صحيح مسلم بشرح النووي، 195/17.

[3] أحمد عيضة أحمد الثقفي، المرجع السابق، ص(139- 140).

-رضي الله عنه- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال:" ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءا من حرّ جهنم" قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله، قال: " فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها"[1].

وهذا الحديث وصف لمدى تلك الحرارة اتخذ العدد طريقا للبيان والتوضيح، ثم نهج الموازنة بحرّ الدنيا "ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءا من حرّ جهنم"، والصحابة يدركون. ويعلمون حرّ نار الدنيا وشدتها فيخاطبون الرسول- صلى الله عليه وسلم- بقولهم: "والله إن كانت لكافية أي لو كان حرّ نار جهنم مثل حرّ نار الدنيا لكانت كافيّة للعذاب لعدم الاستطاعة في تحملها فيأتي الجواب المخيف المفزع لبيان قوة حرّ نار جهنم متخذا التشبيه أسلوب بيان لها فإنها فضلّت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرّها".

إنها مخيفة حقا ليس غريبا فهي مقر من غضب الله عليهم، نار الآخرة تسعة وستون جزءا كل جزء مثل نار الدنيا في الحرارة والقوة.

يشبه عليه -الصلاة والسلام- حر الدنيا بحر جزء من سبعين جزءا من نار الآخرة. وجه الشبه الشّدّة والقوة.

والغرض من التشبيه: بيان مقدار حرارة نار جهنم، والتنفير من نار الآخرة ليحذر المسلم كل ما يقربه منها.

هذا مدى قوة حرّها فما حال الكافر فيها وهل بقى كما كان عليه من الشكل والصورة. في الحياة الدنيا أن تغير كما تغير المؤمنون؟ هذا ما يجيب عليه الحديث الآتي في تصوير عذاب الكافرين.

- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد. وغلظ جلده مسيرة ثلاث[2]"[3].

النّار مقرّ الفجار، جعلها الله لهم مكانا ودارا مع صنوف العذاب النفسي والحسي، وهذه الرّواية يبيّن لنا فيها- عليه الصلاة والسلام- الحال التي يصير إليها جسم الكافر من بشاعة وعظم خلقه ليزداد في التعذيب والإيلام، وكان ذلك الوصف من خلال ذكر حجم الضرس وسماكة الجلد.

[1] صحيح مسلم شرح النووي، 179/17.

[2] صحيح مسلم بشرح النووي، 186/17.

[3] أحمد عيضة أحمد الثقفي، المرجع السابق، ص154، 155.

- وفي رواية أخرى: "...ما بين منكبي الكافر في النّار ثلاثة أيام للرّاكب المسرع"[1].

شبه-صلى الله عليه وسلم- ضرس الكافر أو نابه بجبل عظيم، وهو جبل أحد، وهو من أكبر جبال المدينة، أي أن ضرس الكافر في النّار يكون في الحجم مثل جبل أحد لزيادة العذاب ويكون الجسم متناسقا "كما ورد في بقية الحديث من ذكر سمك جلده، وبعدها بين منكبيه إنها صورة عظيمة مخيفة جاءت على صورة التشبيه للتقريب للإفهام، فكلنا يعرف جبل أحد بيّن المعنى من خلال التشبيه المرسل المجمل المعقود بين طرفين حسييّن.

"تشبيه مفزع مخيف يصوّر بشاعة منظر الكافر إلى جانب العذاب الأليم الذي يعانيه وهي صورة غيبيّة لا ينتمي تعجبنا منها ودهشتنا"[2].

والغرض من هذا التشبيه: بيان مقدار العذاب الذي سيلحق بالكافر في جهنّم، فجلده مسيرة ثلاث جلدُ عظيم، وسيتم حرقه مرّات لا يعلمها إلاّ الله، وفي كل مرة يتم تغيره في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾[3].

وأرى أنه تم اختيار جبل أحد دون غيره من جبال مكّة والطائف لأنه جبل معروف بالمدينة لدى جميع المسلمين وله ارتباط بالمسلمين في تاريخهم، والله أعلم.

هذه أحاديث القيامة وما يقع فيها من أحداث جسام من البعث والحساب والجنّة والنار ستقع كما أخبر عنها الرسول -صلى الله عليه وسلم- وقد أخبر صلوات ربي وسلامه عليه لأنه كُشف له الحجاب وعرض عليه الجنّة وما فيها من النعيم والنار وما فيها من العذاب الأليم، وهذا ما يكشف عنه قوله صلى الله عليه وسلم[4].

"عرضت عليّ الجنة والنّار فلم أر كاليوم في الخير والشر، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، قال الراوي: فما أتى على أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يوم أشدّ منه قال: غطّوا رؤوسهم ولهم خنين..."[5].

---

[1] صحيح مسلم بشرح النووي، 186/17.

[2] التصوير الفني في الحديث النبوي، محمد الصباغ، ص553.

[3] النساء، آية: (56).

[4] أحمد عيضة أحمد الثقفي، المرجع السابق، ص(155- 156).

[5] صحيح مسلم شرح النووي، 112/15- 113.

والتقدير في تشبيهه عليه الصلاة والسلام: لم أر خيرا كالخير الذي رأيته اليوم في الجنّة ولا شرا أكثر مما رأيته اليوم في النّار.

ونلحظ تأثر الصحابة بهذا الحديث " غطّوا رؤوسهم ولهم ختين....".

فالخير كل الخير في الجنّة، والشّر كل الشر في النّار- نعوذ بالله-، والغرض من التشبيه بيان كثرة خير الجنة وأنه خير لم يُرَ مثله، وكثرة شر النّار وأنّه لم يعرف له مثيل. وقد أدت جميع تشبيهاته- صلى الله عليه وسلم- الغرض منها أبلغ تأدية بأوضح لفظ وأجمل صورة تقريبا للإفهام ترغيبا وترهيبا وبيانا للأحوال والمقادير[1].

■ عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول: "إن أهل الجنّة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون، ولا يتبولون، ولا يتغوطّون، ولا يتمخطون، قالوا: فما بال الطعام؟ قال: جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتّحميد كما تلهمون النّفس"[2].

هذا الحديث يبين عليه -الصلاة والسلام- جانب من ذلك النعيم في الجنّة، فقد أعطاهم ما يحبون وأبعد عنهم ما يؤذيهم من تفال، وبول...الخ.

" ومذهب أهل السنّة وعامة المسلمين أن أهل الجنّة يأكلون فيها ويشربون ويتنعمون بذلك وبغيره من ملاذ وأنواع نعيمها تنعما دائما لا آخر له ولا انقطاع أبدا، وأن تنعمهم بذلك على هيئة تنعم أهل الدنيا إلاّ ما بينهما من التفاضل في اللّذة والنفاسة التي لا يشارك نعيم الدنيا إلاّ في التسّميّة وأصل الهيئة، وإلاّ في أنهم لا يبولون ولا يتغوّطون ولا يتمخطون ولا يبصقون، وقد دلّت دلائل القرآن والسنّة في هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره أن نعيم الجنّة دائم لا انقطاع له أبدا"[3].

هذا مذهب أهل السنّة الواجب على كل مسلم ومسلمة اعتقاده، فالجنّة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

والتشبيه وارد في قوله المصطفى ردا على سؤال الصحابة: " جثاء أورشح كرشح المسك". فالطعام والشراب تغيّرت صفاته بعد الأكل في الجنّة، فهو عبارة عن رشح يضيف إلى الجسم رائحة جميلة زكية كرشح المسك.

[1] أحمد عيضة أحمد الثقفي، مرجع سابق، ص(156- 157).

[2] صحيح مسلم بشرح النووي، 17/173- 174.

[3] المرجع نفسه، 17/ 173- 174 "الهامش".

فشبه- عيه الصلاة والسلام- ما يخرج من أجسادهم نتيجة الطعام والشراب برشح المسك في الرائحة الطيبة الزكية.

والغرض من التشبيه: بيان حال المشبه، وأن نعيم الجنّة لا يعتريه شيء مما يعتري نعيم الدّنيا. ثم قال في نهاية الحديث " يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النّفس".

النّفس أمر لا دخل للإنسان فيه شهيق وزفير دون توقف، وأهل الجنّة يلهمون التسبيح وتحميد كذلك وقد أخبر سبحانه أنهم يحمدونه في الجنّة بقولهم:﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴾[1].

حيث شبّه- صلى الله عليه وسلم- إلهام التسبيح والتحميد في الجنّة بإلهام النفس بجامع عدم الانقطاع والاستمرار دون ملل، قال تعالى:﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[2]، فالحمد والثناء لله رب العالمين مستمر من أهل الجنّة شكرا.

ونلحظ أنه- صلى الله عليه وسلم- تحدث عن الغذاء الجسدي، وهم ليس بحاجته وإنما تلذذ ليس عن جوع ولا ضمأ فقد ذكر اللذة الأخرى التي كانوا يتلذذون بها وهي الذكر فقرنهما عليه الصلاة والسلام[3].

[1] الفاطر، آية: (34- 35).

[2] سورة الأعراف، آية: (43).

[3] أحمد عيضة أحمد الثقفي،المرجع السابق، ص144- 145.

2- التصوير بالكناية:

لقد نالت الكناية عناية البلاغيين فكثرت تعريفاتها في مؤلفاتهم المختلفة وقد عرفها "ابن الزملكان" بقوله: "هي أن تريد إثبات معنى فتترك اللفظ الموضوع له وتأتي بتالية وجودا لتومئ به إليه وتجعله شاهدا له ودليلا عليه"[1].

فالكناية من أروع المسالك البيانية، والطرق الأسلوبية التي يعبر بها المنشئ عن المعنى، تعبيرا مظّلا هادفا موجزا، يخفي تحت ظلاله لطائف مراده.

والرسول –صلى الله عليه وسلم– يضرب المثل الكريم السخي في استعمال هذا المسلك الأسلوبي للدلالة على المعاني دلالة ألطف وأكد وأوجز من دلالة الحقيقة المحضة، وليس من شأننا هنا تشقيق المسائل وتفريعها.

ولقد حرص النبي– صلى الله عليه وسلم– على التعبير عن المعاني بالصور الحسية وجعل نصيب الكناية كبيرا جدا. ولهذا نكتفي بالأمثلة من بيانه عليه السلام، من التنبيه إلى مكان الكناية وحسن التعبير بها، وفضله على العبارة المجردة[2].

- في قوله صلى الله عليه وسلم عن القيامة، عز معاوية رضي الله عنه قال: قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة"[3]. أراد الرسول عليه –الصلاة والسلام– أن يثبت شرف المؤذن وكرامته وعظم عظيم أجره عند الله يوم الدين، غير أنه ترك التعبير باللفظ الدال بالوضع على الشرف والكرامة وعظم الأجر، وعبر عن مراده بطول أعناق المؤذنين.

وطول العنق يظهر في رفع الرأس إلى أعلى، شعورا بكرامة المنزل وفرحا بحسن الثواب، وفضل هذا التعبير أنه أوجز مما يفسر به لو قيل: المؤذنون أكرم الناس وأشرفهم، بدليل طول أعناقهم لرفعة رؤوسهم يوم القيامة، كما أنه ذكر للدليل على صحة الحكم المفهوم من وراء العبارة، فيشبه الجمع بين المعنى ودليل صحته، وفهم المدلول الكنائي إنما يأتي بحركة تخيلية تكسب العبارة قيمة فنية رائعة لأن الكلام في مقام المدح بحسن المجازاة وإذ يقترن المقام باللفظ المظل يحرك الذهن إلى ما هو الأنسب من المعاني الملزومة، فتساعد الصورة التي يستحضرها الخيال من تجارب الحياة المماثلة[4].

---

[1] فنون بلاغية، زين كامل الخويسكي وأحمد محمود المصري، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2006م ص99.

[2] الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين، دار اقرأ، ط1، 1984م، ص211.

[3] تيسير الوصول 1/196.

[4] كمال عز الدين، المرجع السابق، ص212.

■ في قوله أيضا عن الساعة يقول صلى الله عليه وسلم: "بعثت في نسم الساعة. إن كادت لتسبقني"[1].

وهذه كناية عن شدة القرب لأنه عليه السلام كنى عن ابتداء الساعة بالنسم والنسم والنسيم لابتداء الريح، وهي ضعيفة قبل شدتها...وقد روى هذا الخبر على وجه آخر، وهو قوله عليه الصلاة والسلام: "بعثت في نفس الساعة " جعل للساعة نفس كنفس الإنسان، وقال: بعثت في وقت أحس فيه بنفسها وقربها، كما يحس الإنسان إذا قرب من شخصه، وسمع مجرى نفسه وهذا تلخيص لقول الرضي في المجازات النبوية يلتقي مع[2]، ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾[3].

■ وفي حديث آخر عن القبر قال صلى الله عليه وسلم: "إذا قبر الميّت أتاه ملكان أسودان أزرقان. يقال لأحدهما: المنكر وللآخر: النكير"[4]، قول النبي عليه الصلاة والسلام أتاه ملكان أسودان أزرقان فهذه كناية عن شدة الغضب.

وقال الشراح: أراد بالسوّاد سواد منظرهما، وبالزرقة زرقة أعينهما. ذلك لما في لون السّواد وزرقة العين من الهول والنكير. الزرقة أبغض ألوان العيون إلى العرب، لأن الروم أعداؤهم، وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو: "أسود الكبد، أزرق العين" ويحتمل أن يكون المراد قبح المنظر وفضاضة الصورة[5].

■ وحديثه عن الجنة قال صلى الله عليه وسلم: "إن الجنة تزخرف لرمضان من رأس الحول إلى حول قابل، فإذا كان أول يوم من رمضان هبّت ريح تحت العرش من ورق الجنّة على الحور العين فيقلن: يا ربّ ! اجعل لنا من عبادك أزواجا تقرّبهم أعيننا وتقرّ أعينهم بنا".

يشمل هذا الحديث على كنايتين تتعلق بالصفة المعنوية لا النعت فالكناية الأولى كناية عن السرور والفرح، وحقيقته: إبراد الله دمعة عينها، لأن دمعة الفرح والسرور باردة، وأما الثانية، عبارة عن بلوغ الأمينة ورضاه بها، لأنه من فاز ببغيته تقرّ نفسه، ولا تستشرف عينه إلى مطلوبة لحصوله.

■ عن أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يكون في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين، يلبسون للناس جلود العنان من اللين، ألسنتهم أحلى من

[1] تيسير الوصول 1/48.

[2] كمال عز الدين،المرجع السابق، ص223.

[3] القمر، الآية: (01).

[4] الخطيب التبريز، 1405ق: 1/ 46- 47.

[5] صور الكناية في الكلام النبوي الشريف حجت رسولى ونور سيده، إضاءات نقدية (فصلية محكمة)، العدد 9، 2013، ص (20-21).

العسل، وقلوبهم قلوب الذئاب، يقول الله تعالى: أبي تغترون أم علي تجترؤون...؟ فبي خلفت لأبعثنّ على أولئك فتنة تذر الحليم فيهم حيران"[1].

أولئك هم المراءون، الذين يبطفون ما لا يظهرون، فيكون في ظاهرهم الرحمة، وفي باطنهم العذاب، يسمع منهم الناس كلاما معسولا يخدعهم يجعلونه كحبالة الصياد تفرش بالحب إغراء للصيد، ولفظ الختل بدل على خداعهم، وهو واقع على الدنيا والدين في مكان أدائه، "قال في القاموس المحيط: ختله يختله ويختله ختلا وختلانا خدعه، والذئب الصيد تخفّى له فهو خاتل" ومعنى ذلك أنهم جعلوا الدنيا بأهلها صيدا، وجعلوا الدين أداة يخدعون بها الصيد، فهذه العبارة كناية عن فقد قلوبهم ما أجادوا التظاهر به، والمعنى الظاهر دليل على المعنى الثاني، لأنه لازمة، والجملة الوصفيّة الثانية توكد هذا المعنى مرة أخرى وبصورة أخرى هي أقرب في التقرير لارتباطها في الحس[2].

- وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيّ- صلى الله عليه وسلم- قال: " اشتكت النار إلى ربّها، فقالت: ربّ أكل بعضي بعضا! فأذن لها بنفسين، نفس في الشتاء ونفس في الصيّف، فأشدّ ما تجدون من الحرّ وأشدّ ما تجدون من الزمهرير"[3] هو صنع الكناية "أكل بعضي بعضا" كناية عن خلاء جوفها وشدة جوعها إذ يردف خلو النار مما تأكله أن تأكل بعضها.

ولابد لفحص الكناية من تبيّن معنى شكوى النار لربها، فهذا الضرب من الشكوى والتغيّظ والزفير ونحوه فيه مذهبان:

الأول: الحمل على الظاهر والحقيقة وأن شدة الحر من وهجها وفيحها وجعل الله تعالى فيها إدراكا وتمييزا بحيث تكلمت بهذا.

الثاني: الحمل على المجاز وتقديره أن شدة الحر تشبه نار جهنم فاحذروه، وشكواها مجاز عن غليانها، ويكثر أن تستعير العرب الكلام للحال وتسميّة لسان الحال، فمنهم من ذهب إليه مع القول بإمكان الأول كالإمام البيضاوي، ومنهم من قال بالمجاز ومنع الحقيقة كالإمام الزمخشري والمعتزلة الذين لا يجوزون قيام الحياة إلا ببنية مخصوصة تتصور فيها الحياة[4].

---

[1] تيسير الوصول، 2/111.

[2] الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، د كمال عز الدين، ص213.

[3] البخاري في بدء الخلق (صفة النار وأنها مخلوقة) 3260.

[4] الاختراع في الكنايات النبوية وأثره في كلام العرب، مصعب حمود، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد26، العدد1، 2010، ص(712- 713).

وشكاية النار تعطي دلالة على قمة المعاناة للنار فكيف الداخل إليها، فإذا هي تشتكي من الحر فماذا يفعل الكافر الذي يدخلها.

3- التصوير بالاستعارة:

تعرف الاستعارة بأنها ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل[1] وتحصل من التفاعل أو التوتر بؤرة المجاز والإطار المحيط بها؟.

وهي غاية الصورة وتؤدي وظائف مهمة هي الاخبار والإمتاع والتأثير[2].

وكما عرفها الجاحظ بقوله :"وهي تسمية الشيء باسم غيره إذ أقام مقامه"[3].

وهي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينه صارفه عن إرادة المعنى الأصلي[4].

والاستعارة في الجملة أن يكون اللفظ أصلا في الوضع اللغوي معروفا تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمل في غير ذلك الأصل وينقل نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعارية[5].

فقد وقعت الاستعارة المجسمة مرات عدة في مشاهد العالم الآخر لتمثيل مشهد غيبي وتقريبه للسامع.

وما جاء في مطلع حديث الشفاعة في يوم القيامة يقول -عليه الصلاة والسلام- من حديث مالك بن أنس رضي الله عنه: "إذ كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض فيأتون آدم فيقولون إشفع لنا إلى ربك، فيقول لست لها ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن. فيأتون إبراهيم، فيقول لست لها. ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله، فيأتون موسى، فيقول لست لها، ولكن عليكم بعيسى، فإنه روح الله وكلمته، فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عيكم بمحمد -صلى الله عليه وسلم-، فيأتوني، فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها لا تحصرني لآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخر له ساجدا فيقول يامحمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسئل تعط، واشفع تشفع، فأقول يا رب: أمتي، أمتي..."[6]

---

[1] أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني، تح: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط3، 2001، ص(14-15).

[2] جماليات أسلوب الصورة الفنية في الأدب العربي، فايز الداية، دار الفكر العربي، (د.ط)، (د.ت)، ص 141.(بتصرف)

[3] علم البيان، عبد العزيز عتيق، الآفاق العربية دار النهضة، بيروت، (د.ط)، 1985، ص 127. (بتصرف)

[4] جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، تح: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص 264.

[5] عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص 27 .

[6] صحيح البخاري، لإمام محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي، دار الهدى، الجزائر،(د.ط)، 1992م، ج6، ص 27.

فقوله عليه وسلم: (ماج الناس) تصوير استعاري ينقل لنا باقتدار وبراعة مشاعر الخوف والاظطراب التي يغشى الناس يوم يقوم الناس لله من خلال تجسيم الاختلاط والتداخل الكبيرين بين الناس بالموج إذ يقول "ماج البحر إذ إظطربت أمواجه"[1]، وقد حرص التعبير النبوي، وهو يقرب لنا المشهد الغيبي ويمثل المشاعر التي تتقد في شخوصه على ابقاء الفكر والخيال والبصر مركزا على مشهد الناس ذاته فعمد إلى تجريد الاستعارة بقوله "بعضهم في بعض"، لأن إبراز المشهد الغيبي في هذا المقام يمثل الغاية والمراد.

وجاء مثل هذه الاستعارة في التعبير القرآني في سورة الكهف في قوله تعالى:﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾[2]، فدلت مثلها على التداخل والاختلاط في التعبير النبوي وقع في مشاهد القيامة بسبب الخوف والاضطراب الذي يعاني منه الناس يومئذ[3].

من قوله أيضا –صلى الله عليه وسلم– في تصويره للملائكة قال: "وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع" هذه الصورة روحانية خلابة لخبر إنكاري رد على من يكذَب جدوى العلم من خلال(إن) و(لام) التوكيد وقد تطلب الخبر التوكيد لأنه صورة غيبية ليس بطرق المتلقي أن يراها ليصدقها لكنها تتجسد أمام البصر والبصيرة ماثلة دلالتها الحقيقية والمجاز في الوقت نفسه هي استعارة الأجنحة للملائكة وهي تضعها لكل إنسان يستمر في طلب العلم، وهي دلالة على رضى الله عز وجل بما يصنع و(رضا) هنا قد تكون بموقع الحال المنصوب أو مفعول لأجله منصوب وهذه الصورة تلتها جملة معطوفة عليها بخبر إنكاري أيضا لأن الخبر لا يمكن أن يراه الإنسان.[4]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في تصويره للجنة : "واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف" تعد هذه الصور الاستعارية من أشدها عمقا في الدلالة لعذوبة ألفاظها وقوتها فضلا عن جمال الوصف الذي أنتجته إذ أن الحروف تتراقص مع حركة السيوف وعنه وحصر بنية الحديث تجدها في تشكيلها للصورة قائمة على الاستعارة التصريحية إذ استعير الدال (ظلال) وهو طرف الصورة (المشبه به) للدال الذهني المشبه (أثر السيوف الكثيرة) الذي يفهم من سياق نص الحديث، فقد أصبح

[1] ابن منظور، المرجع السابق، مادة موج.

[2] الكهف الآية: (99).

[3] لغة الحديث النبوي بين التشبيه والمجاز دراسة في الصحيحين، خليل محمد أيوب، رسالة الماجستير،2007م، ص106.

[4] في النحو واللغة والحديث والفقه، أمالي أبي القاسم السهيلي عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي، تح: محمد إبراهيم البنا، مكتبة السهيلي، درا السعادة للطباعة والنشر، مصر، 1969م، ص80.

للسيوف بفعل الكثرة ظلالاً، وعليه يكون نيل الجنة بكثر ظلال السيوف من خلال الصبر والثبات في سبيل الله تعالى الذي يناط به الصبر.

إذ أن هذه الاستعارة تكمن في تصوير الجنة ووصفها أيضا، وجعلت نيلها بكثرة ظلال السيوف دلالة على المجاهدين الذين يجتمعوا بعضهم إلى بعض بشكل متراص فتصبح السيوف بأيديهم ظلاّ [1].

- وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "بين يدي الساعة الرويبضة".

وهذه استعارة لأنه عليه- الصلاة والسلام- أراد أمام الساعة فقال: بين يديها تقريبا لهذه الحال من قيام الساعة لأنه لو قال قبل الساعة لما أفاد قوله بين يديها، لأنك إذا أردت التقريب على من استرشدك مكانا تتطلبه، أو انسانا تتبعه فقلت له: هو بين يديك أي قريب منك . ولو قلت هو أمامك لاحتمل البعد والقرب، كما أن قيل يحتمل البعد أو القرب هذا على الأغلب والأكثر، وقد يجوز أن يكون قولك أمـــامك وبين يديك عبارة عـن مراد واحد، وقالوا الرويبضة: هو امرؤ السوء التافه، وقال هو الفويسق الخامل.

والرويبضة، تصغير الرابضة، وهو الرجل التافه أي الحقير الذي ينطق في أمر العامة وهذا تفسير النبي- صلى الله عليه وسلم- للكلمة ومعناه ينطق في أمر العامة، أي يتولى شؤونهم أي أنه من علامات الساعة أن يتولى الرويبضة أمور الناس وفي الحديث استعارة بالكناية حيث شبهت الساعة بإنسان له يدان وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو اليدان وإتيان اليدين إلى الساعة تخييلا[2].

- ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام :"وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم". وفي رواية أخرى "على مناخرهم في النار" وهذه من الاستعارات العجيبة، والمراد بها أن أكثر معاثر الأقدام ومحارب الأنام إنما تكون بجرائر ألسنتهم عليهم، وعواقب الأقوال السيئة التي تؤثر عنهم، هذا في دار الدنيا وعلى المتعارف بيـن أهلهـــا، والمتعـالم من مجاري عاداتها، فأما الدار الدنيا الآخرة يأخذون فيها بأنام الأقوال، كما يؤخذون بأثام الأفعال، فيكبون على مناخرهم في أطوار العذاب وبيـن أطباق النيران، نعوذ بالله منها، والعبارة عن هذه الحال بحصائد الألسنة من أحسن العبارات لأنه عليه الصلاة والسلام شبه ما تحذف به ألسنتهم من الأقوال المذمومة التي تسوء عواقبها ويعود

[1] نبهان حسون السعدون، جماليات وصف الجنة والنار في الحديث النبوي الشريف- دراسة أسلوبية موازنة- مجلة كلية العلوم الاسلامية، بغداد، العدد 13، 2013، ص 09.

[2] خليل محمد أيوب، لغة الحديث النبوي بين التشبيه والمجاز دراسته في الصحيحين رسالة ماجستير بإشراف الدكتور شفيع السيد، القاهرة، 2007، ص162.

عليهم وبالها بالزراع الذي يستوبئ عاقبة زرعه والغرس الذي يستثمر ثمرة غرسه، وهذا كقول القائل لمن أخذ بجريرة وعوقب على جريمة: أحصد ما زرعت واستوف أجر ما غرست.

وفي الحديث استعارتان بالكناية والتبعية أما الأولى فهي تشبيه اللسان بالمنجل الذي يحصد الزرع ثم حذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الحصائد، وأما الثانية فهي تشبيه رمي اللسان بالفظ بحصد الزرع بجامع القطع في كل فإن في خروج الكلمة من اللسان قطع لها عنه كما في قطع الزرع، ثم اشتق من الحصد بمعنى قذف اللفظ حصائد بمعنى مقذوفات على طريق الاستعارة التبعية[1].

- ومن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن بين يدي الساعة فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا، يمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل"[2].

لقد صور رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الحديث بأسلوبه البليغ، الهول الذي سيحل بالناس قرب قيام الساعة وهو هول البلايا التي ستفتنهم في دينهم ودنياهم. وهذه الفتن تشبه في تلاحقها واسترسالها قطع الليل المظلم واجزاء من مخاطر هذه الفتن أن الإنسان ينقلب بين عشية وضحاها من الإيمان إلى الكفر ثم يعود فينقلب من الكفر إلى الإيمان وينتكس على أعقابه كلما أصابته داهية أو فتنة الدنيا بمباهجها وفي قوله : إن بين يدي الساعة، إستعارة مكنية لأن فيها تشبيه الساعة بالرجل ذي اليدين وحذف المشبه به والرمز إليه بشيء من لوازمه وهو اليد، فقد استعيرت اليد من الإنسان وأضيفت إلى الساعة والجامع بين المستعار والمستعار له هو القرب والملازمة للإنسان، وقد جاءت هذه الاستعارة مؤكدة بأن لتأكيد ملازمة وبيان العلامة التي تصاحب اقتراب الساعة.

ويزداد حال التعبير والتصوير في الحديث النبوي الشريف ببعض القيم البديعية التي تحسن اللفظ مثل الطباق بين الفعلين "يصبح"و"يمسي" والطباق بين الاسمين "مؤمنا" و"كافرا" ويزيد الطباق معنى الحديث بيانا وايضاحا وتركيز وايجاز، إذ يقرب صور التسارع والتتابع التي تطرأ على أحوال الناس بسبب الفتن[3].

[1] المرجع نفسه، ص (104-105).

[2] رواه مسلم 118/15.

[3] الفتن، حافظ أبي عبد الله نعيم بن حماد المزوري، تح: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة التوحيد للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1991، ص47. (بتصرف)

ثانياً: التصوير بالقصة.

التصوير بالقصة من أجمل أساليب التصوير وأعمقها آثاراً في النفس، ذلك أن النفس البشريَة ميَالة لسماع القصَة، تجد الأنس والمتعة في متابعة أحداثها وقد تجد فيها ما تريده أو ما تحياه فيترك ذلك فيها من التأثير والاستمتاع ما لا تبلغه وسيلة أخرى[1].

ومن أجل ذلك كانت القصَة أسلوباً ناجحاً في الدَعوة إلى الدَين جعل في تاريخنا الأدبي والديني فئة من النَاس يمتهنون الكلام وإلقاء القصص حتَى عرفوا بالقَصاص.

ومن أجل ذلك لا يستطيع أن يستغني عنها داعية ولا مصلح. والقصة ستكتب عن ذكر المغزى وتترك للسامع أن يستخرجه وهو بذلك يكون أكثر تأثراً لأنه يبنيَ المغزى عن اقتناع، وقد يحس بأنَه هو صاحب الفكرة، لم يفرضها واعظ عليه ولم يوحى معناها إليه أحد. والنفس تنفر من الأسلوب الوعظي التقريري لاسيما إن أسرف فيه الواعــظون أو فقدوا التَوفيق في عرضه اللَطف في أدائه.

حيث أن التصوير بالقصة يعتبر وسيلة من وسائل التصوير. والقصة التي نجدها مستخدمة في التصوير في الحديث أنواع، فمنها الطَويلة ومنها القصيرة ومنها التي اقتصرت عن ذكر موقف، وهي إما حكاية واقع تاريخي مضى وانقضى وإما حكاية واقع سيكون في آخر الزمان[2].

وتعتبر القصة وسيلة من وسائل الدعوة في التربية السمحة التي تهدف إلى إقامة صرح الإيمان، ولما كان البيان النبوي متأثر في أهدافه وأساليبه بالقرآن الكريم كانت إحدى وسائله إبلاغ الدعوة وتثبيتها في قلوب المؤمنين، وقد خضعت القصة النبوية في موضوعاتها وطريقة عرضها وإدارة حوادثها لمقتضى الأغراض والأهداف الدينية، وهذا الخضوع للغرض الديني لم يمنع بروز الخصائص الفنية في عرضها، فكانت في ذلك متبعة لمنهج القصة القرآنية ولنسق البيان القرآني كله فقد لوحظ أن "الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية، بلغة الجمال الفنية."[3]

فالقصة اقناع للعقل وامتناع للعاطفة بأسلوب حكيم وهادف.

ومــن أجــل ذلك كانت الـقـصــة أسلوبا ناجـحاً في الدعوة إلى الــدِّين.

[1] التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف، محمد الصباغ، ص 498

[2] المرجع نفسه، ص499

[3] التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، ص171.

وقد تكون هذه القصة حكاية واقع تاريخي مضى وانقضى، وإما حكاية واقع سيكون في آخر الزمن.[1]

وتنقسم القصة في الحديث النبوي الشريف إلى :

- القصة الواقعة للرسول –صلى الله عليه وسلم–
- القصة التمثيلية.
- القصة الغيبية.[2]

إن هذه الأنواع الثلاثة للقصص النبوي سيقت بأساليب متنوعة من ناحية طريقة العرض وأسلوب الأداء تتجلى إما في شكل قصير لا يتجاوز الأسطر المحدودة، وإما في شكل مشهد قصصي وإما تظهر في شكل قصة مكتملة البناء والعناصر الفنية.[3]

ولقد ركزنا هنا على النوع الغيبي وهو القصة الغيبية، والتي تتناول أحداثا ووقائع من صميم الغيب مستمدة من مشاهد الآخرة، وهي غيب سواء أوقعت في الماضي البعيد أو ستقع في المستقبل في نهاية الحياة، وهي بالنسبة للإنسان غيبا مجهولا لا تقع تحت حواس البشر.[4]

- ومن القصص الغيبية، حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "لما خلق الله الجنة والنار، أرسل جبرائيل إلى الجنة، فقال: اذهب فأنظر إليها ولما أعددت لأهلها فيها، فرجع فقال: وعزتك، لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بالجنة، فحُفَّت بالمكاره، فقال: ارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها. قال: فنظر إليها، ثم رجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد. قال ثم أرسله إلى النار، قال: اذهب فانظر إليها وما أعددت إلى أهلها فيها، قال: فنظر إليها، فإذا هي يوكب بعضها بعض، ثم رجع فقال: وعزتك، لا يدخلها أحد سمع بها، فأمر بها فحفت بالشهوات، ثم قال: اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها، فذهب فنظر إليها، فرجع فقال: وعزتك، لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها".

فهذه القصة تبين لنا خلق الجنة والنار حين أرسل الله عز وجل جبرائيل إلى الجنة وأمره بالنظر إليها وما أعد لأهلها وعند عودته "قال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها" والمقصود هنا أن كل من

[1] المرجع نفسه، ص499.

[2] خصائص القصة الاسلامية، مؤمون فريد جرار، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، ط1، (دت)، ص113.

[3] المرجع نفسه، ص117.

[4] المرجع نفسه، ص 116.(بتصرف)

يسمع عن الجنة سيرغب في الدخول لها. ولكن بعد ذلك أمر الله الملائكة أن يحفوها بالمكاره، وبعد ذلك طلب الله من جبرائيل الرجوع والنظر إليها وعندها "قال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد". ومن هنا يظهر لنا أن دخول الجنة ليس سهلا فهي محاطة بكل ما تكرهه النفس سواء أكان صياما أو تعبُدًا ومقاومة النفس والشهوات، فالنفس بطبيعتها تحب الراحة واتباع الأهواء ولكن على كل من رغب في دخول الجنة اجتناب ذلك، ولذلك خشي جبرائيل ألا يدخلها أحد. عندما أمر الله الملائكة بأن يحفوها بالمكاره (أن يحيطوها) هذه العبارة محذوفة ومدلول عليها بالسياق ما بعدها.

ثم بعد ذلك أرسل الله تعالى جبرائيل إلى النار و"قال: اذهب وانظر إليها وما أعددت لأهلها فيها" وعندما رجع "قال: وعزتك، لا يدخلها أحد سمع بها"، وهنا ندرك مدا هول جهنم من خلال قول جبرائيل، أجرنى الله واياكم منها. وعندها أمر الله أن تُحف بالشهوات، أي أن تزين بكل ما تحبه النفس وتشتهيه، فالنفس أمارة بالسوء لذلك أُحفت النار بكل ما تشتهيه.

ومن خلال مقاومة هذه الشهوات يتبين العبد المؤمن القوي من الضعيف وذلك من خلال صبره وتركه لكل ما نهاه الله عنه.

أما من اتبع الشهوات وتصدا لأوامر الله ونواهيه فإن مثواه جهنم.

ومن القصص القصيرة التي تحكي واقعا سيكون يوم القيامة قصة الرجل الذي أمر أهله أن يحرقوه ويذروه في البر والبحر قصة هذا الرجل يوم القيامة[1].

■ عن أبي هريرة أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: " قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله: إذا مات فحرقوه ثم اذروا نصفه في البر ونصفه في البحر... فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه أحد من العالمين. فلما مات الرجل فعلو ما أمرهم. فأمر الله البر فجمع ما فيه. وأمر البحر فجمع ما فيه. ثم قال: لم فعلت هذا؟

قال: من خشيتك يا رب وأنت أعلم.

فغفر الله له."[2]

قصة في غاية الامتاع...نقرؤها مدهوشين من صنيع الرجل بنفسه، وتتعاظم دهشتنا عندما نقف في نهايتها على مغفرة الله له.

[1] التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف، محمد الصباغ، المرجع السابق، ص504.

[2] صحيح مسلم: 17/70-71.

إنه إنسان لم يعمل خيرا... وفاته الوقت... وعلم أنه غير قادر على أن يفعل شيئا يمحو به ذلك التاريخ الأسود الطويل... فزينت له نفسه أن يوصي أهله أن يحرقوه بعد أن يموت ويذروا نصفه في البر ونصفه في البحر... ظنا منه أنه سينجو من مقابلة الله ومحاسبته لأنه يتوقع عذابا لا يلقاه أحد من العالمين. وقال بسذاجة وعقله: إنه يريد أن يفلت من قبضة الله. قال: فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه... مسكين يظن أنه بهذا يسبق قدره الله "

ولكن المفاجأة تتم... فأمر الله البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه... ومُثل أمام الله تبارك وتعالى، فسأله: لم فعلت هذا؟

فأجابه وساق البراهان على صدق قوله: قال: من خشيتك وأنت تعلم... لأنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور... فغفر الله له[1].

إن خشية الله سبب الفوز والمغفرة. وإن قدرة الله لا حد لها، وإن الخضوع للمحاسبة والمساءله أمر لا مفر منه أينما كانت الوفاة وكيفما تمت.

إن رحمة الله ومغفرته تشمل الخلق أجمعين وعفوه تبارك وتعالى... والقصة تدل على أن الله –عز وجل– عرف صدق هذا العبد فغفر له على الرغم من تصرفه الأحمق الذي لا يتفق والإيمان بصفات الله.

- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:

"كان رجلان في بني اسرائيل متواخين، فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: أقصر.

فوجده يوما على ذنب فقال له أقصر.

فقال: خلني وربي. أبعثت علي رقيبا؟

فقال: والله لا يغفر الله لك. ولا يدخلك الله الجنة.

فقبض أرواحهما، فاجتمع عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد أكنت بي عالما؟

– أو كنت على ما في يدي قادرا؟ –

قال للمذنب: اذهب، فادخل الجنة برحمتي

وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار"[2]

[1] التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف، محمد الصباغ، المرجع السابق، ص505.

[2] التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف، محمد الصباغ، المرجع السابق، 370/4.

درس للوعاظ الذين يتصدون إلى دعوة الناس وتوجيههم... درس بليغ لو تدبروه... الأسلوب الحسن هو الوسيلة التي بها يكسبون قلوب الناس، والتبروء من الأنانية والتعالي والعجب بالطاعة إن ذلك كله مما يخفف من ظل هؤلاء الدعاة ويجعلهم مقبولين من عامة الناس. والله تعالى يخاطب سيد الرسل قائلا: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[1].

ثم التأني على الله... والتحكم في مماثل الناس كيف يقول إنسان صالح مثل هذا القول: أن يحلف أن الله لا يغفر لفلان أو لا يدخله الجنة؟؟[2]

- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله –عز وجل– يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال: يا رب كيف أعودك، وأنت رب العالمين؟

قال: أما علمت أن عبدي مرض فلم تعده. أما علمت أو أنك عدته لوجدتني عنده؟

يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني؟

قال: كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟

قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلن تطعمه، أما علمت لو أنك أطعمته لوجدت ذلك عندي؟

يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني

قال: يارب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟

قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي".

إذا عرفنا أن الغرض من الصورة التي يؤثر الرسول –صلى الله عليه وسلم– التعبير بها المعاني غرض ديني أدركنا جلال شأن هذه الصورة.

فالعيادة للمريض عيادة لله، وتعالى الله أن يمرض، وتعالى أن يكون بحاجة إلى عيادة.

أما علمت أن عبدي...، وتفسير هذه الصورة ورد في الحديث نفسه عندما قال "فلانا مريض"، ثم بين أنه لو قام بعيادته (لوجده عنده). وكذلك الطعام والسقي، فالمستطعم في الحقيقة هو العبد المحتاج. ولكن الحديث يجعله هو الله، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟، فالذي

[1] آل عمران، الآية:(159).

[2] التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف، محمد الصباغ، ص508.

يطعم الجائع يجد الثواب عند الله. إن قلب المؤمن العامر بحب الله عندما يسمع هذا الكلام لا يمكن أن يقعد عن فعل هذه الصنوف من الخير مهما وجد من الصعوبات ما دام قادرا على فعله.

فعيادة الله واطعام الله وسقي الله فسرها الحديث نفسه على وجه رائع ولقد زاد الحوار من حيوية الحديث النبوي قوة وتأثير ومما يدل على الرغبة في الحوار أن ابن آدم يريد أن يستمر في السؤال عن أمر مشابه لما سأله قبل قليل وتلقى عنه الجواب. لماذا؟

ربما كان هذا الآن الدهشة لم تتح أن يعي أن الجواب متضمن في الكلام السابق ومهما يكن من أمر فالحوار زاد من عنصر التشويق الذي يعتمد عليه هذا الحديث اعتمادًا واضحاً وذلك كقول الله في هذا الحديث :

(مرضت فلم تعدني...استطعمتك فلم تطعمني...استسقيتك فلم تسقني).

■ حدثنا علي حدثنا سفيان،عن الأعمش عن أبي وائل قال: "قيل لأسامة لو أتيت فلانا فكلمته، قال: إنَكم لترون أنيَ لا أكلمه إلَا أسمعكمْ، إني أكلمه في السَر، دون أنْ أفتح بابًا لا أكون أول منْ فتحهُ، ولا أقول لرجل أن كان علي أميرًا إنه خيْر الناس، بعْدَ شيء سمعته من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قالوا: وما سمعته يقول، قال: سمعته يقول: "يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاهُ، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليسْ كنْت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمُرُكمْ بالمعروف ولا آتيه وأنهاكمْ عن المنكر وآتيه".

(لأسامة) بن زيد رضي الله عنهما. (فلاناً) هو عثمان بن عفان —رضي الله عنه- (فكلمته) في إطفاء الفتنة التي تقع بين الناس، وقيل: في شأن أخيه لأمه الوليد بن عتبة. (لترون) لتظنون. (فتندلق) تخرج وتنصب بسرعة. (أقتابه) جمع قتب وهي الأمعاء والأحشاء. (برحاه) حجر الطاحون التي يديرها[1]

وفي هذا الحديث تصوير من خلال القصة القصيرة عن حال من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقوم به. في يوم القيامة، فقد صور الحديث حاله حين يلقى في النار فتندلق أقنانه في النار وشبهه بالحمار الذي يدور برحاه.

فهذا الحديث بين لنا حال هذا العبد. لندرك من خلاله عذاب من ينهي عن المنكر ويقوم به، لأن عذابه شديد.

[1] صحيح البخاري وللإمام أبي عبد الله بن اسماعيل البخاري الجعفي، دار الهدى، الجزائر، ج3، (د.ط)، 1992، 63- بدء الخلق- باب: 10 حديث 3094، ص1191.

ثالثاً: التصوير بالوصف.

الوصف كما عرفه قدامه ابن جعفر: "ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيئات"[1]. حيث أن الوصف الدقيق النابع من البصيرة النافذة وحسن الإدراك. والتدفق العاطفي أبلغ من التشبيه أو الاستعارة أو الكناية أو الوسائل المألوفة في التصوير إنه ينقل لك أمام عينيك المشهد حتى تكاد تحسّ به حواسك وتلمسه بيدك.

وهو ليس مجرد تصوير فوتوغرافي آلي ولكنه تصوّر إدراكي، فيه إلى جانب موضوعيته قدر كبير من ذاتيه صاحبه.

ويعلو شأن الوصف في التصوير عندما يكون الموصوف أمرا غيبيا لا سبيل إلى نقله إلاّ عن هذا الطريق الذي يتخيله السّامع واقعاً ملموسًا يراه بعينيه ويتقراه بيديه[2].

وللوصف في البيان النبوي أعظم القيمة في كشف المعاني وتحديد المفاهيم، به تكمل الصورة على الوجه الذي يقررها في النفس تقريرًا لا تطلب بعده المزيد[3].

وقد استخدم النبي –صلى الله عليه وسلم– الوصف لأجل تعليم الناس وإرشادهم إلى ما يقربهم إلى ربهم ولبيان حق الدين، كما استخدمه في تحذيرهم وتخويفهم مما يبعدهم عن جنابة ورحمته.

والنبي– صلى الله عليه وسلم– في بيانه وصف الإيمان في الأمور العقدية والقلبية ووصف الصلاة والزكاة والذكر في الأمور الحسية، ووصف الفتن والجنة والنار في الأمور الغيبية إلى غير ذلك من ألوان الوصف.

وقد اتخذ الحديث وسائل عديدة للوصف، من أهمها: اعتماده التشبيه والتصوير، فلقد كان الرسول العظيم — صلى الله عليه وسلم– يؤثر أن يستخدم التشبيه المحكم وسيلة فعلية للوصف الدقيق الذي يستجمع شرائط الجودة كلها.

ويتجلى الوصف أيضا في الأحاديث التي تصف أمورًا غيبية كنعيم الجنة، والخيرات الحسان التي يلقاها المؤمنون الصادقون.

ومن ذلك وصف أهل الجنة:

---

[1] نقد الشعر، قدامه بن جعفر، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1948م، ص118.

[2] التصوير الفني في الحديث النبوي، محمد الصباغ، المرجع السابق، ص491.

[3] كمال عز الدين، المرجع السابق، ص413.

■ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتلفون، ولا يتمخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة أزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعًا في السماء. وفي رواية: آنيتهم فيها الذهب، ورشحهم فيها المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض. قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا"[1].

وإن هذا الوصف للحياة الغيبية الرائع ليجعلنا نتصور النعيم المقيم والجمال والكمال ومنازل المؤمنين وما أعد الله لهم. وقد جاء هذا الوصف النبوي الدقيق معتمدا على التشبيه في بعض أجزائه.

وقد بدأ بتشبيه أول زمرة تدخل الجنة بصورة القمر ليلة البدر وتشبيه الذين يلونهم بصورة أشد من كوكب إضاءة بما فيه من هيئة وحسن وضوء.

"أما الذين يلونهم" فصورتهم معروفة، حين ننظر إلى الكوكب الدري يلمع في وسط السماء في الليل، ولكن التشبيه هنا في الإضاءة وحدها، وهذا لا يعني نقصان حالهم ولكن يعني اختلافهم في درجات النعيم.

– وأيضا "لا يمتخطون ولا يبصقون"، وهذا مناسب ما هم عليه من الضياء والنقاء والصفاء والحسن والبهاء في كل ما يحيط بهم وهو وصف لمشاهدة من عالم الغيب عرضها علينا في إيجاز وبصور رائعة[2].

■ وفي وصف آخر لأهل الجنة في حديثه صلى الله عليه وسلم: "أن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء، لا يبلغها غيرهم ؟ قال: بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين"[3].

يقدم نص هذا الحديث كذلك مشهدا رائعا لوصف أمر غيبي، فالمشهد البصري الذي تجسد في فعل الرؤية (يتراؤن) الذي أعطى إثارة تصويرية لطرفين هما(أهل الجنة/ أهل الغرف) فالرائي في الجنة

[1] متفق عليه وأنظره في(رياض الصالحين)، ص291. باب بيان ما أعده الله للمؤمنين في الجنة.

[2] الحديث النبوي مصطلحه– بلاغته– كتبه، المرجع السابق، ص89. (بتصرف)

[3] صحيح البخاري، 145/4.

يرى صاحب الغرفة برؤية الرائي للكوكب الدري المستصنين الباقي في جانب الشرق أو الغرب في الاستضاءة مع السعداء وأهل الغرف ينظرون إلى أهل الجنة بحكم العلو الذين هم فيه[1].

- وكذلك عن عبد الله بن قيس عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال:

"إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستّون ميلا للمؤمن فيها أهلون. يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا"[2].

إن هذا الوصف يؤلف صورة مثيرة تروع بمادتها وتخلب جمالها وبه يقرّب هذا الأمر الغيبي الذي لا يستطيع الإنسان أن يدركه إلا بعقله ووجدانه معا، والوصف هنا أجدى من أيّة وسيلة أخرى من وسائل التصوير[3].

وقد وصف النار عليه –الصلاة والسلام– في العديد من الأحاديث فهي مكان العذاب الخالد الذي أعده الله تعالى للعباد العاصين والخارجين عن النهج القويم جزاء كفرهم وتكبرهم وعصيانهم، وقد أعطى الله جزاءهم في الآخرة عن طريق القرآن والحديث.

- كقوله– صلى الله عليه وسلم– في وصف أهل النار: قال: " أن أهوان أهل النار عذابا يوم القيامة أن توضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه".

وقد استعمل الوصف عن طريق الكناية في (أهون عذاب النار التوحي بشدة العذاب ووقعه، فإذا كان أهون العذاب جمرتان توضع في أخمص القدم تعملان على غلي الدمّاغ، فماذا يكون أشد العذاب وفي ذلك ترهيب بالعذاب الهين ليقيسه الكافر بالعذاب الصعب).

ومن ما جاء في وصف مشاهدة العالم الآخر.

- عن أنس قال: كنا عند رسول الله– صلى الله عليه وسلم– فضحك فقال: " هل تدرون ممّ أضحك؟"– قال قلنا: الله ورسوله أعلم

قال: " من مخاطبة العبد ربّه يقول: يا ربّ ألم تجرني من الظّلم؟.

قال: بلى. قال فيقول: فإنيّ لا أجيز على نفسي إلا مني شاهدًا منّي.

قال فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا وبالكرام الكاتبين شهودًا.

قال: فيختم على فيه. فيقال لأركانه: انطقى.

---

[1] جماليات وصف الجنة والنار في الحديث النبوي الشريف– دراسة أسلوبية موازنة–، مرجع السابق، ص08.

[2] صحيح مسلم 180/17. وأنظر رياض الصالحين 1044.

[3] التصوير الفني في الحديث النبوي، محمد الصباغ، ص498.

قال: فتنطق بأعماله. قال: ثمّ يخلّى بينه وبين الكلام قال فيقول: بعدا لكنّ وسحقا فعنكن كنت أناضل"[1].

وهذا وصفا لحال العبد يوم القيامة من خلال حوار يجري بين العبد وربّه ثمّ حوار بين العبد وجوارحه. وهو صورة ناطقة لحال النّاس يوم القيامة ووصف حيّ لحالة هذا الرجل الذي طلب أن تشهد عليه أركانه ظنا منه أنها ستراعيه فإذا هي تنطق بأعماله[2].

[1] صحيح مسلم 105/18.

[2] التصوير الفني في الحديث النبوي، محمد الصباغ، ص(497 – 498).

رابعاً: التصوير بالحركة والإشارة والرسم.

تكتسب الإشارة آليه الكلام من عهود الانسانية الأولى أو ربما كانت مصاحبة له وبناء عليه يظهر مصطلح الإّشارة الذي يدل على الكلام، قالت العرب: أشار الرجل يشير إشارة إذ أومأ بيديه والإيماء تدل على معنى من أمر ونهي أو سواهما مما يقتضيه المقام[1].

وهذا اللون من التصوير نقل إلينا ووصف، وهو لون من ألوان التصوير التي توضح الفكرة وتبين المراد.

ذلك أن الإشارة لغة إنسانية يستطيع أن يتفاهم بها الناس من بلاد مختلفة لا يعرف بعضهم لغة بعض كما يتفاهم بها البكم فيما بينهم ومع الناطقين أيضا. وهي إذن كانت في محلها كانت معينة على الفهم، ملفتة للنَظر، طاردة الشرود مشركة في المتابعة أكثر من حاسة، فالنظر يرى الإشارة ويسمع العبارة، ويذكر كل منهما بالأخرى.

كان لحركته –صلى الله عليه وسلم– وإشارته دورٌ كبير في إجادة الأداء فحركته معبرة تلفت النظر وتنبه الغافل وتعين على الحفظ والتذكر؟[2]

وفي الحديث أنه _صلى الله عليه وسلم_كان يشير في الصلاة أي: يومئ باليد والرأس. يعني، يأمر وينهي بالإشارة [3].

- في ما رواه المسور بن شداد ،قال رسول الله_صلى الله عليه وسلم_ عن يوم القيامة" والله ما لدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه،وأشار بالسبابة في اليم فلينظر بم يرجع"

إن الصورة التشبيهية قد كملت عند قوله: "ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم "[4].

ثم جاءت الحركة، حركة وضع السبابة في اليم، لينظر الجميع ويستحضر اليم وأنه جالس على شاطئه ثم ها هو يضع إصبعه في اليم ثم ينظر فلا يجد فيه من الماء إلا البلل.إن هذه الإشارة أعطت التشبيه قوة، لأنها قامت بدور الدليل، والبرهان على صدق الصورة، وأن من يفعل ذلك يرجع فارغ

[1] إبن منظور، المرجع السابق، مادة شور.

[2] التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف ،محمد الصباغ ،المرجع السابق،525

[3] النهاية في غريب الحديث والنثر، المبارك بن محمد الجزري بن الأثير تح: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي، دار ابن الجوزي للنشر، المملكة السعودية، ط1،(دت)، ج1، ص 859.

[4] التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف ، محمد الصباغ، المرجع السابق، ص 115.

اليدين إلا من الحسرة أرأيت كيف تدعم الإشارة وكيف توضح المراد منه، وكيف أكسبته الأنس والألفة[1].

- ومن قوله صلى الله عليه وسلم: " تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق، حتى تكون منهم بمقدار ميل، قال سليم بن عامر: فواليه ما أدري ما بمعنى بالميل؟ أمسافة الأرض، أم الميل الذي تكتحل به العين؟

قال: فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما. قال: وأشار رسول الله بيده إلى فمه"[2].

فقوله صلى الله عليه وسلم "ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً، يفهم منه أن العرق قد وصل إلى الفم، هذا منطوق العبارة، والذهن يتصور ذلك لا شك.

إذن ما الإضافة التي أضافها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى المعنى؟ وهل قصر اللفظ عن أداء المراد حتى تأتي الإشارة؟

إن الإضافة التي أتت بها الإشارة كما أفهم هي استحضار الصورة لتشاهدها العيون، فوضع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يده على فمه نقل المعنى من عالم الغيب إلى عالم الشهادة.

وهذا من أرفع صور التوكيد فالناس الآن لا يسمعون الكلام بل يرون صورة هذا الرجل الذي ألجمه عرقه."

يرونه الآن أمام عيونهم، وهو يحاول النجاة أو التخلص من هذا العرق بعد أن وصل إلى فمه، وأخذ بخناقه ويكاد يسد أنفاسه. هكذا ينظر السامع إلى المعني بعد إشارة النبي صلى الله عليه وسلم.

أما اصطلاحا هذا الصنف أعنى الذي يلجمه العرق، لتصويره دون غيره ممن وصل العرق إلى عكبيه أو ركبتيه...الخ، ولأنه الأشد كربا، والمقام مقام ترهيب يوم القيامة.

والسياق سياق زجر، فالشمس تدنو من الرؤوس، الكل في ضيق ووجل، فكان الأبلغ استخلاص أشد الصور نفورًا فكان من يلجمه العرق إلجاما هو الأليق فوقع التصوير بالإشارة عليه، لأن من رأى ليس كما سمع.

[1] صحيح المسلم، حجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. تح: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، المكتبة العصرية للنشر، بيروت، ط1، 2006م، ص 2858.

[2] المرجع نفسه، ص7066.

■ وفي ما رواه أبو هريرة في ما قاله رسول الله –صلى الله عليه– وسلم عن خروج الروح قال: إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدان بها، قال حماد، فذكر من طيب ريحها، وذكر المسك، قال: ويقول أهل السماء روح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه، فينطلق به إلى ربه –عز وجل– فيقول: انطلقوا به إلى آخر الأجل...، قال: وإن روح الكافر إذا خرجت روحه وقال حماد، وذكر من نتنها، وذكر لعناً ويقول أهل السماء: روح خبيثة جاءت من قبل الأرض، قال فيقال: انطلقوا به إلى آخر الأجل...قال أبو هريرة: فرد رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ريطة كانت عليه على أنفه هكذا [1]

وهذا تجسيد لهيئة من شم رائحة كريهة منتنة، حتى اضطرته إلى وضع ردائه على أنفه، ما يعني أنه استشعر هذه الرائحة، وأحسن بنتنها فأراد أن يشرك الصحابة معه في هذا الشعور، فغطى أنفه بالملاءة ليستشعروا هم الآخرون نفس الرائحة، فيكون التنفير من هذا النموذج قد وصل إلى منتهاه[2].

وكما استخدم الرسول –صلى الله عليه وسلم– الإشارة لفتا لأنظار السامعين وإعانتهم على الفهم وفيها يشترك أكثر من حاسة، فالناظر يرى الإشارة ويسمع العبارة فيكون ذلك أدعى لتذكره واستعمل –صلى الله عليه وسلم– الإشارة بإصبعيه عندما أراد أن يقرر، أن بعثته مقاربة لقيام الساعة فقال: "بعثت أنا والساعة هكذا" ويشير بإصبعه فيمد بهما، وفي حديث آخر أشار بيده إلى رأس المخاطب ليقرر القرب الشديد للساعة، فهي يومئذ أقرب إلى الناس من يده –صلى الله عليه وسلم– من رأس المخاطب.

■ فعن ابن حوالة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل والبلايا والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب للناس من يدي هذه من رأسك "[3]

ومن الأعمال التي تؤهل صاحبها مرافقة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في الجنة القيام بأمور اليتيم والبنات ويستخدم –صلى الله عليه وسلم– الإشارة للدلالة على ذلك فيقول:" أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين" وأشار بإصبعه إلى السبابة والوسطى. وروى مسلم بسنده عن أنس قال ،قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو"وضم أصابعهُ.

---

[1] صحيح المسلم، حجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، المرجع السابق، ص7081/499.(بتصرف)

[2] صحيح المسلم، حجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، المرجع السابق، ص 500.

[3] موزه أحمد محمد الكور، المرجع السابق، ص118.

وكما استخدم الرسول –صلى الله عليه وسلم– الإشارة، استعان أيضا بالرسم كأسلوب تعليمي يجلو الأمر ويوضحه.

- روى ابن مسعود قال: خط رسول الله –صلى الله عليه وسلم– خط رسول الله خطا وخط عن يمين ذلك الخط وعن شماله خطا. ثم قال: "هذا صراط ربك مستقيما وهذه السبل على كل سبيل من شيطان، يدعوا إليه ثم قرأ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله".
- ويروي ابن مسعود أيضا استخدام النبي صلى الله عليه وسلم الرسم في موضع الأمل والأجل فيقول:"خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط خطا في الوسط من جانبه الذي في الوسط" وقال رسول الله: "هذا الإنسان وهذا أجله محيط به أو قد أحاط به وهذا الذي خارج أمله وهذه الخطوط الصغار الأغراض فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا"[1].

[1] المرجع السابق، ص119.

خامساً:التصوير بالأمثال.

إن الحكم والأمثال مرآة تعكس طبيعة الشعوب، مختصرة بكلمات قليلة وقصص طويلة، أو تعبير عن موقف أو وصفاً لحالة، وهي تشمل ميادين الحياة كافة، وقد تعددت واختلفت التعاريف والأقوال الاصطلاحية للمثل، وقد تعددت التعريفات في الأمثال ويعرفه ابن السكّيت:

"المثل لفظ يخالف لفظا المضروب له، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ، شبهوه بالمثال الذي يعمل عليه غيره"[1] وعرفها أبو عبيدة: "الأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام بها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية صحيحة فيجمع لها بذلك ثلاث خصال: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه، وقد ضربها النبي –صلى الله عليه وسلم– هو ومن بعد لسلف"[2].

أما بالنسبة للأمثال النبوية فلم تكن عنصر قائم بذاته وإنما كانت تدخل ضمن الحديث وفي طياته إلا أنه وبعد تدوين حديث الرسول –صلى الله عليه وسلم– ظهر رجال يدرسون الحديث فتخصص كل واحد في شيء، والأمثال كان لها نصيب في ذلك.

ولقد استخدم الرسول –عليه الصلاة والسلام– أدوات توضيحية عديد لإبلاغ رسالة ربه الدينية الخلقية، حيث وجدت الأساليب التالية: استعانته بالأصابع، استعانته بالرسم التوضيحي من البيئة المحيطة[3].

وقد كان له – صلى الله عليه وسلم– أغراض في ضرب المثل كتقريب المراد وتفهيم المعنى وإيصاله إلى ذهن المخاطب وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مثل به ذلك. كقوله عليه الصلاة والسلام.

- حديث أبي سعيد الخدري قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تكون الأرض يوم القيامة خبزه واحد، يتكفؤها الجبار بيده، كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة"[4].
- وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يحشر الناس يوم القيامة، على أرض بيضاء، عفراء، كقرصة النقي، وليس فيها علم لأحد"[5].

يعرض الحديثان صورة تغير معالم الأرض يوم القيامة، إذ تصبح كهيئة خبزة واحدة بيضاء، من الدقيق الخالص، مستوية لا معالم فيها، ولا بناء ولا أثر سكن، يقلبها الجبار كيف ما يشاء، كما

[1] مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد الميداني، دار الكتاب، بيروت، ط1، 1988، ص7.

[2] المزهر في اللغة، عبد الرحمن جلال الدين السبوطي، دار الجيل، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ج1، ص486.

[3] سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد ابن ماجة، دار الكتاب العلمية، (د.ط)، (د.ت)، ص11. (بتصرف)

[4] صحيح مسلم 2151/4.

[5] صحيح مسلم 2150/4.

يقلب أحدنا خبزة السفر. وضرب المثل في هذا الحديث بخبزة تشبه الأرض في معنيين: أحدهما: بيان الهيئة التي تكون الأرض عليها يومئذ، والآخر بيان الخبزة التي يهيئها الله تعالى نزلا لأهل الجنة وبيان عظم مقدارها ابتداعا واختراعا[1].

والصورة الحسية المستخدمة في تقريب الأمر الغيبي الذي جاء الحديث ليست غريبة على ذهن السامع فهي قوت شائع يستخدمه في اسفاره. ونقل ابن حجر عن ابن أبي جمرة إن في هذا الحديث دليلا على عظيم القدرة، والاعلام بجزيئات يوم القيامة ليكون السامع على بصيرة فيخلص نفسه من ذلك الهول لأن في معرفة جزئيات الشيء قبل وقوعه رياض النفس وحملها على ما فيه خلاصها بخلاف مجيء الأمر بغته[2].

وأما الغرض الثاني في ضرب المثل هو الترغيب والترهيب وذلك في تحذيره من ظلم –صلى الله عليه وسلم– فيقول: "الظلم ظلمات يوم القيامة"[3].

هذا الحديث الموجز يقوم نذيرا على رؤوس الظالمين، إنه تعبير يحمي المجتمع كأنه نص دستوري يجب أن يتوقف عنده كل ذي سلطان وذي سلطة. ويذهب بنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم– في هذه العبارة عند حد المصير الذي سيكون للظالم في الآخرة، فإن ظلمه سيتحول إلى ظلام دامس يحل به فلا يرى طريقة ولا يعرف كيف يمضي ولا أين يسير[4].

وفي حديثه عن جهنم، من قوله صلى الله عليه وسلم: " إن الصراط وضع بين أظهر جهنم دحض من له، والأنبياء عليه يقولون: رب سلم سلم، والناس عليه كالبرق، وكطرفة عين، وكأجود الخيل والركاب، وشدا على الأقدام"[5].

وهذا من أمثال السنة التشبيهية، فالتشبيه الأول: مرور الناس على الصراط كالبرق والثاني: كطرفة عين، والثالث: كأجاود الخيل والركاب، والرابع: السير على الأقدام وهذا التشبيه الرباعي قد أتى حسب معانيه وأحواله ومن المعاني ما يستدعي الإطالة ومنها ما يكون قصيرا موجزا[6].

[1] الأمثال في الحديث النبوي، موزه أحمد محمد الكور، المرجع السابق، ص121.
[2] المرجع نفسه، ص122.
[3] صحيح البخاري، كتاب المظالم – باب الظلم ظلمات يوم القيامة 139/3.
[4] موزة أحمد محمد الكور، المرجع السابق، ص127.
[5] صحيح البخاري، كتاب النوحي 542/8.
[6] موزة أحمد محمد الكور، المرجع السابق، ص135.

■ ومن حديثه صلى الله عليه وسلم قال: "إقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، إقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما عمامتّان أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما"[1].

قراءة سورة البقرة وآل عمران ثوابهما يأتي يوم القيامة في هيئة ظل يرفع عن قارئهما حر ذلك اليوم وجاء التشبيه بثلاثة أشياء عامتان، وحيايتان، ومجموعة من أسراب الطير، وكلها صور لتأكيد أجرهما ودفاعهما عن صاحبهما[2].

[1] صحيح مسلم، 553/1.

[2] موزة أحمد محمد كور، المرجع السابق، ص135.

الخـاتمة

الخاتمة

لقد درسنا في هذا البحث التصوير الفني في عالم الغيب في الحديث النبوي الشريف، فبينا الأبعاد الجمالية فيه.

وفي ما يلي إجمال لما استخلصنا من نتائج:

1. الصورة الفنية عنصر أساسي وأصيل من عناصر التعبير، وهي الحد الفاصل الذي يميز بين التعبير والتصوير.
2. تكون الصورة في الأصل على المجاز والاستعارات وأصناف التشبيه والكنايات.
3. أصبحت الصورة الفنية ذات قيمة عاطفية و وصفية ومعرفية وخرجت من حيز النقل المباشر.
4. لم تعد الصورة الفنية مجرد زخرف لفظي، وتعدت وظيفتها الهدف الجمالي والقصد التشخيصي.
5. أن الصورة هي خلاصة الإبداع التي تنصهر فيها العاطفة بالعقل، أو هي تذكير مرتبط بوحدات الأديب وتعقد التجربة.
6. أصبحت الصورة الفنية مصدرا للتأمل ومنجما للعواطف والأفكار، تتشكل فيها التجربة الشعورية تشكيلاً نفسياً، ومنه أصبحت أكثر احتمالا لتعدد التفسير، هي في الحديث عنصر جمالي كبير الأهمية.
7. كان التصوير القاعدة العامة في الحديث النبوي الشريف باعتباره أجمل المعاني وأبدعها بعد القرآن الكريم، فقد كان من الطبيعي أن تنضوي تحت ظله سمات تجلي معناها وتبرز جوهرها وتمثلت في كل من التخييل الحسي والتجسيم والتناسق الفنيين.
8. تعد الصورة الفنية مظهرا من مظاهر الفاعلية العلاقة بين اللغة والفكر ووسيلة للتحديد والكشف.
9. لا تكتفي الصورة الفنية بوظيفة الشرح والإبانة لتؤدي غرضها الإقناعي، بل هي تحقق نفس الغاية عن طريق المبالغة.
10. ومن أهم ما تميزت به الصورة الفنية هي إمتاع المتلقي وإثارة إعجابه، بعيد عن التحسين والتقبيح.
11. يعد التعبير بالصورة من أرقى وسائل التعبير في الأدب.

12. كانت فكرة التصوير الفني، محاولة ناجحة لإدراك الخصائص العامة للجمال الفني للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

13. وختاما، فإننا نضع هذا البحث المتواضع بين يدي كل من خاض ميدان الدراسات الأدبية وحاول توجيه التصوير الفني في الحديث النبوي، ولربما وجد في هذا العمل ما وجد فيه من اعوجاج فقومه أو نقص فتممه، أو أخرجه إخراجا يرى فيه خدمة أكبر للدراسات الأدبية.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: كتب

1- أدب الحديث النبوي، بكري شيخ امين، دار الشروق، بيروت، (دط)، 1981م.

2- أساس البلاغة للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط)، 1998، ج1.

3- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، تح:درويش الجويدي، مكتبة العصرية، بيروت، (دط)، 2003م.

4- الإيمان بالغيب، بسام علي سلامة العموش، دار المأمون للتوزيع والنشر، المملكة الأردنية الهامشية، ط1، 2010م.

5- البلاغة الواضحة (البيان- المعاني- البديع)، علي جارم ومصطفى أمين، دار المعارف، القاهرة، (دط)، 1999م.

6- البيان النبوي، محمد رجب البيومي، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، ط1، 1987م.

7- التسيير في علوم الحديث النبوي، عبد الرحمان محمد عبد الله الرفاعي، دار الفكر العربي، بيروت، (دط)، (دت).

8- التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف، محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988م.

9- التعريفات للجرجاني، شريف الجرجاني، دار فضيلة، القاهرة، (دط)، 1413هـ، باب الباء.

10- الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين، دار إقرأ، بيروت، ط1، 1984م.

11- الحديث النبوي (مصطلحه-بلاغته-كتبه)، محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط4، 1969م.

12- الخصائص الفنية في الأدب النبوي، محمد سعد الدبل، دار الثقافة والنشر، السعودية، (دط)، (دت).

13- الصحاح في اللغة وعلومه، عبد الله العلالي، الدار الحضارة العربية، (دط)، 1974م.

14- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، ط3، 1992م.

15- الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري، عبد الحميد هيمة، دار الجزائر، الجزائر، (دط)، (دت).

16- العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط2، 1979م.

17- الفروق اللغوية، ابو هلال العسكري بن عبد الله، مكتبة، القاهرة، (دط)، 1353هـ.

18- المزهر في اللغة، عبد الرحمان جلال الدين السيوطي، دار الجيل، بيروت، (دط)، (دت)، ج1.

19- المصباح المنير، احمد بن محمد علي الفيوهي المقرئ، المكتبة المصرية، بيروت، (دط)، (دت).

20- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، القاهرة، (دط)، 1960م.

21- النقد التحليلي، محمد غناتي، نشر أنجلو المصريه، القاهرة، (دط)، (دت).

22- دراسات في الحديث النبوي وعلومه، أحمد عطا إبراهيم،دار الغريب، القاهرة، (دط)، (دت).

23- ركائز الإيمان، محمد قطب إبراهيم، دار العالمية للنشر، الكويت، (دط)،1387هـ.

24- صحيح البخاري، أبو عبدالله بن إسماعيل بن إبراهيم بن دردنه، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، تركيا، (دط)، 1962م.

25- صحيح مسلم شرح النووي، دار إحياء تراث العربي، لبنان، جزء 1.

26- عالم الغيب واسراره، عبد المعز خطاب، دار الإعتصام، القاهرة، (دط)، 1980م، عبقرية محمد، عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت، (دط)، 1969م.

27- فنون بلاغية، كامل الخويسكي وأحمد محمود المصري، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الإسكندرية، ط1، 2006م.

28- في ظلال القرآن، السيد قطب، دار المعرفة للنشر، بيروت، ط8 ، (دت)، ج1.

29- لسان العرب لإبن منظور، دار الإحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1996م.

30- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد الميداني، دار الكتاب، بيروت، ط1، 1988م.

31- مقاييس اللغة لإبن فارس، أبي الحسين أحمد بن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، (دط) 1998م، ج1.

32- نظرية التصوير الفني في القرآن الكريم للسيد قطب، صلاح عبد الفتاح خالدي، دار الشروق، القاهرة، ط16، 2002م.

33- الفتن، حافظ أبي عبد الله نعيم بن حماد المزوري، تح: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة التوحيد للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1991.

34- صحيح مسلم شرح النووي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ج1، ط3، 86/17.

ثالثا: مجلات والتقارير

35- صور الكناية في الكلام النبوي الشريف، حجت رسولى ونور سيدة، مجلة إضاءات نقديه (فصلية محكمة)، العدد التاسع، 2013م.

36- دراسة صور التشبيه في الكلام النبوي الشريف، محمد إبراهيم خليفه شوشري وعلي كيد نور ميدة، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصليه محكمة، عدد تاسع، 2012م.

37- جماليات وصف الجنة والنار في الحديث النبوي الشريف، نبهان حسون السعدون ويوسف سليمان الطحان، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد الثالث عشر، المجلد السابع، 2013م.

38- الإختراع في الكنايات النبوية وأثره في كلام العرب، مصعب حمود، مجلة جامعة دمشق للعلوم الإقتصادية والقانونية، دمشق،العدد الأول،2010م.

39- البيان النبوي تفرد وخصوصية،فهمي خالد، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، الكويت عدد569، 2012م.

رابعا: مذكرات

40- التشبيه بالحيوان في الحديث النبوي الشريف دراسة تحليلية وصفية،عفاف بنت أحمد العبدلي، رسالة ماجستير في البلاغة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة، 2010م.

فهرس المحتويات

الموضـــــــــــــــــــــــــــــــــوع	الصفحة
الإهداء	
شكر وتقدير	
المقدمة	أ
الفصل الأول: ماهية البلاغة النبوية والتصوير الفني والغيب	
أولا : البلاغة النبوية.	05
1- تعريف البلاغة.	05
2- تعريف الحديث.	06
3-البلاغة النبوية.	06
4-أسلوب البلاغة النبوية.	07
ثانيا: التصوير الفني.	12
1-أهمية الصورة.	14
2- مزايا نظرية التصوير الفني.	15
3- وظيفة الصورة الفنية.	17
ثالثا: لمحه عامة عن الغيب.	19
1- تعريف الغيب.	19
2- خصائص الغيب.	20
3- أقسام الغيب.	21
الفصل الثاني: التصوير الفني في أحاديث عالم الغيب.	
أولا: التصوير بالصور البيانية.	24
1- التصوير بالتشبيه.	24
2- التصوير بالكناية.	34
3- التصوير بالإستعارة.	37
ثانيا: التصوير بالقصة.	41
ثالثا: التصوير بالوصف.	47

رابعا: التصوير بالحركة والإشارة.	51
خامسا: التصوير بالأمثال.	55
الخاتمة.	69
قائمة المصادر والمراجع	62
الفهـــــرس	65